من سيربح جوائز السماء؟

كيف تكسب قلوب الآخرين؟

د. ماجد رمضان

د. ماجد رمضان
من سيربح جوائز السماء؟
by Usama Taha
دار البيان للترجمة والتوزيع

من إصداراتنا

تكون محبوبا ؟	د. ماجد رمضان
وائز السماء	د. ماجد رمضان
راس الخطر	د. ماجد رمضان
ن الوقت لتصبح	محمود خليفة
عامل مع المراهقين	ناصر الشافعي
ناع الأجيال	محمد عبد الفتاح
بادة فن و مهارة	ياسر السيد

دار البيان للترجمة والتوزيع
25 ش معمل الألبان - أبو وافية
أمام مركز شباب الساحل
ت: 0176117214 - 02 24324834
البريد الإلكتروني : albayan_2009@yahoo.com

من سيربح جوائز السماء؟

كيف تكسب قلوب الآخرين

دكتور

ماجد رمضان

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى للناشر

١٤٣٠ - ٢٠٠٩

رقم الإيداع: ٢٠٠٩/١٣٣٣٥

الترقيم الدولي I.S.B.N

978-977-6332-30-0

مركز السلام للتجهيز الفني

عبد الحميد عمر

٠١٠٦٩٦٢٦٤٧

٢٥ ش معمل الألبان * أبو وافية أمام مركز شباب الساحل

ت: ٢٤٣٢٤٨٣٤ — ٠١٧٦١١٧٤١٤

Email: albayan_2009@yahoo.com

إهداء

إلى والدىّ وأخوىّ

اللهم ارحمهم جميعا، وأدخلهم الدرجات العلا من الجنة، واجزهم الجزاء الأوفى، وأدخل عليهم الضياء والنور، والفسحة والسرور، ولاتحرمنا أجرهم، ولاتفتنّا بعدهم، وارحمنا إذا صرنا إلى ما صاروا إليه، برحمتك وأنت أرحم الراحمين.

د. ماجد رمضان

مقدمـــة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لاإله إلا الله وحده لاشريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

أما بعد....

انتشرت فى هذه الأيام ظاهرة سيطرت على عقول الناس؛ الكبير منهم والصغير، الرجل فيهم والمرأة، فملكت لبهم، وحركت أفئدتهم ومشاعرهم، حتى باتت حديث البيوت والشوارع والمقاهى، إنها ظاهرة برامج المسابقات التى انتشرت كالنار فى الهشيم، تطل علينا فى كل لحظة من وسائل الإعلام المرئية والمسموعة ومن بين سطور المجلات والصحف، واستحدثت لها برامج متخصصة، أبدع فيه المتخصصون، مستخدمين أحدث وسائل التكنولوجيا فبهروا الأعين وسلبوا الألباب، واستنزفوا الأموال.

وفى ظل تضاعف قوة وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية فى السنوات الأخيرة من ناحية إتقانها لوسائل التاثير على الناس ودرجة إلحاحها على أذهانهم فضلا عن عدد الناس الذين تستطيع أن تصل إليهم، استطاعت هذه الوسائل أن تدخل كل بيت نموذجا من هذه المسابقات (من سيربح المليون، كنز الأحلام، احلم ببيتك، مسابقات للغناء وأخرى للأزياء، مسابقات لنجوم الطرب والرقص، لأجمل صوت، وأروع ثوب، ألذ طبخة وأطرف نكتة).

فأصبح الكل مشدودا بها، مرتبطا بمواعيدها، ينظم مواقيته وأعماله حتى لاتتعارض معها، والكل يحلم بالفوز بجائزة من جوائزها،يحلمون بالثراء السريع من خلال الفوز بالملايين التي تقدمها مسابقات الأحلام، فإن أخفق مرة لم ييأس وحاول مرات ومرات.

وإن فشل فى إحداها بحث عن غيرها، فهم أشبه بالأطفال الصغار فى (محل اللعب) فيه ألف صنف وصنف، يمسكون بلعبة ثم يلقونها ليتناولوا لعبة أخرى أجمل فى عيونهم وأسطع بريقا ثم مايلبثون أن يضعوها من أيديهم ليمسكوا أخرى أبدع وأجمل منها، وفى نهاية الأمر قد يخرجون بأتفه لعبه، أو ينصرفون صفر الأكف خائبين محرومين يجرون أذيال الخيبة والحسرة والندم.

وما نشاهده اليوم من هؤلاء الواهمين الذين يقولون إن الفوز بإحدى هذه الجوائز هو غاية المنى، فيعيش فى خيال يبتدعه الوهم، وأحلام يقظة يحركها الطمع، وهؤلاء لو عرفوا الحقيقة، لوجدوا أن الجوائز الحقيقية بين أيديهم ولكنهم قد غفلوا عنها.

وقد يتساءل أحدهم ما هى هذه الجوائز؟ وأين هى؟ وما وسيلة الاشتراك فى سباق الفوز بإحداها؟ وكيف أتذوق لذائذ الفوز بها؟

ونسي أنها قريبة منا بصورة لا يتخيلها أحد! وأن هناك لحظات ننال فيها هذه الجوائز أو بعضها ولا يستطيع أحد أن ينكرها! أينكر أحد الإحساس الذى يشعر به:

* العابد وهو بين يدى ربه خاشعا متعبدا.

* والطالب حين يصل إلى هدفه ويحقق مبتغاه.

* والعالم عند فجر اكتشاف جديد.

* والطبيب حين يشفى الله مريضه على يديه.

* والعامل حين ينجز عمله فينال استحسان رئيسه وتقديره.

* والمرأة حين تسمع مناغاة وليدها بين يديها.

* ورب الأسرة وهو وسط أبنائه الباسمين المنعمين بالصحة والعافية.

فالحقيقة أننا نعيش في حياة مليئة بالجوائز الظاهرة والخفية، ولكن لا بد لنا من أن ندرك تلك الجوائز، وكيفية الفوز بها أو بأحدها فكثير من الناس لا يدركون ذلك؟

روي أن رجلا سأل عبد الله بن عمرو بن العاص:«**ألست من الفقراء المهاجرين؟ فقال له عبد الله:ألك امرأة تأوي إليها؟ قال: نعم، قال:ألك مسكن تسكنه؟ قال:نعم.قال: فأنت من الأغنياء، قال:فإن لي خادما،قال: فأنت من الملوك**» [رواه مسلم].

فبعض الناس يستهين بما أولاه الله من سلامة وطمأنينة في نفسه وأهله وقد يزدري هذه الآلاء العظيمة ويضخم أثار الحرمان من حظوظ الثروة والتمكين.

فما أغلى العافية التي تسري في أوصالنا وما أثمن القوى التي زودنا الله بها لوأحسنا استغلالها ولم نهدر قيمتها، وما أشهى الثمار التي نقطفها فى حياتنا بعد بذل أسباب الحصول عليها.

ولكن الواقع اليوم يبين أن الجوائز الإيمانية بهتت وغابت في كثير من الأحيان! والجوائز الدنيوية تنمو حتى تعلو وتسيطر وتتحكم وتوجه، وساد الصراع والتنافس والمزاحمة للحصول عليها، وغاب البذل والإبداع والمبادرة في ميدان التنافس على جوائز السماء.

فما أعظم جوائز السماء! وهي لا تقتصر على جوائز الآخرة فقط، بل تكون في الدنيا والآخرة، ولكن جوائز الدنيا مهما عظمت فهي بجانب جوائز الآخرة ضئيلة لا قيمه لها.

فقد قال الله تعالي:﴿**كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ**﴾ [آل عمران: ١٨٥].

وروي مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال:«**إن الله يقول لأهل الجنة:يا أهل الجنة! فيقولون: لبيك ربنا وسعديك، والخير في يديك.فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضي يارب.وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك فيقول:ألا أعطيكم أفضل من ذالك؟ فيقولون: يارب وأي شئ أفضل من ذلك؟**

فيقول: أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدا».

فكثير من الناس يغيب عنه معنى الفوز،وفي مسيرة الحياة يسعى كل فرد لتحقيق الفوز بمفهومه الشخصي،ليكتشف في مرحلة من مراحل حياته،أن للفوز معنى واحداً لا يتغير.

وما علموا أن الفوز الحقيقي هو الفوز الذي لا شقاء بعده، وهو الفوز الذي يستحق أن تنفق فيه الأموال والأعمار، الفوز الحقيقي يكون لمن زحزح عن النار وأدخل الجنة وهذا هو المعنى الحقيقي للفوز، فوز لحياة أبدية، فوز لا خسارة بعده.

قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ، فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ [القارعة: ٦-٧].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾ [البروج: ١١].

وقال تعالى: ﴿أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ٨٩].

ولو بحث الإنسان حوله. لوجد هناك أسبابا وطرقا ووسائل كثيرة تحقق له الفوز بجوائز السماء وهو الفوز الحقيقى.

وهذا الكتاب يحمل بين دفتيه معان وأسرار جميلة وحميدة لكل إنسان يود أن يفوز بهذه الجوائز، وهو يقتصر على الأسباب والطرق والوسائل التى تمثل العلاقات الإنسانسة مساحة كبيرة فيها، والتى قد تكون من الفروض والواجبات كعلاقة الإنسان بوالديه ومع أرحامه، وقد تكون من العبادات والقربات مثل التواضع والصفح عن الآخرين والصداقة وإسعاد الآخرين.

فقد قيل: والله ما فاز من فاز إلا بحسن الأدب، وما سقط من سقط إلا بسوء الأدب.

وقال بعضهم: إن الأدب له دائرتان:

دائرة الأدب مع الله ودائرة الأدب مع الأحياء، وبعضهم يضيف دائرة ثالثة وهى دائرة الأدب مع الأشياء.

وما يهمنا فى موضوعنا هذا هو دائرة الأدب مع الأحياء أى مع الخلق أى العلاقات الإنسانية مع الآخرين.

وإننا اليوم بحاجة إلى التعرف على الطرق والأساليب الذكية لبناء العلاقات

وتوطيدها، لاسيما فى زمن تفتت فيه العلاقات الاجتماعية وتمزقت أواصر الأسر والمجتمعات.

فما أجمل التعامل بلغة القلوب، وعطر الأخلاق، نحسن بذلك عرض ديننا ونزرع الألفة والمودة والمحبة بيننا، ونسمو بأنفسنا عن سفاسف الأمور وسوء الخلق والسلوك.

فإن شئت أن تحظى بجنة ربنا ... وتفوز بالفوز الكبير الخالد
فانهض لفعل الخير واطرق بابه ... تجد الإعانة من إله ماجد
واعكف على هذا الكتاب فإنه ... جمع الفضائل جمع فذ ناقد
يهدى إليك كلام أفضل مرسل ... فيما يقرب من رضاء الواحد
فأدم قراءته بقلب خالص ... وادع لكاتبه وكل مساعد

فإن أفلحت فيما قدمت فذلك فضل الله على، فله الحمد والشكر، وإن كانت الأخرى فحسبى أننى حاولت، وما أريد إلا الإصلاح ما استطعت، وماتوفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

د. ماجد رمضان

مايو ٢٠٠٩

الجائزة الكبرى

أطع الإله كمـــا أمر ... واملأ فؤادك بالحذر
وأطـــــع أباك فإنـه ... باك من عهد الصغر
واخضع لأمك وأرضها ... فعقوقها إحدى الكبر

الشافعي

علي في العاشرة من عمره، يعيش مع أمه وأبيه وجده في منزل كبير حياة سعيدة هنيئة، كان صبيا مجتهدا في دراسته محبا لأسرته، مطيعا للكبار، حريصا على الصلاة في أوقاتها، وكان يحب جده العجوز كثيرا ويقضي معه معظم وقته، يتجاذبان أطراف الحديث ويتسامران ويتضاحكان، وفي أحد الأيام بعد أن أنهى على واجباته المنزلية وجميع ما عليه من دروس، ذهب كعادته إلى غرفة جده وسلم عليه وجلس معه يحدثه عما تعلمه في المدرسة من دروس.

دخل والد على على والده وابنه الغرفة، وألقى التحية عليهما ثم جلس نائيا والتزم الصمت لبرهة قصيرة وكأن أمرا ما يشغل باله سأله أبوه برفق: ما بك يا ولدي تبدو منشغل البال؟ هل هناك ما تود أن تخبرني به؟ رد أبو على: الحقيقة يا أبي أنني أراك وحيدا طوال الوقت،و أخشى أن تسبب لك هذه العزلة الحزن والاكتئاب فلماذا لا تحاول أن تكون بعض الصداقات مع غيرك؟ استغرب كلا من الجد وعلي من هذا السؤال، فهذه هي المرة الأولى التي يطرح فيها هذا الموضوع قال الجد: ماذا تحاول أن تقول يا بني؟ رد أبو على: لقد أخبرني أصحابي عن دار يجتمع فيها الكثير من الشيوخ والرجال للسمر وتكوين الصداقات والترويح عن النفس بالأحاديث اللطيفة، فما رأيك لو ذهبنا غدا إلى هناك؟ بدا الأمر لعلي غريبا مثيرا للشك، فهو لم يسمع بهذه الدار من قبل إلا أن جده أبدى حماسة شديدة لهذا الأمر الذي بدا له مشوقا ومثيرا قال الجد والحماسة تلمع في عينيه: خذني إليها غدا يا ولدي إن استطعت. ابتسم أبو على ابتسامة غريبة وقال: حسنا، ليكن ولكن على ما زال مرتابا بخصوص هذه الدار، فماذا يكون سرها يا ترى؟ قال على لأبيه: هل تأذن لي بمرافقتكم يا أبي؟

تجهم وجه الأب وقال: لا يمكنك أن تأتي معنا، الأفضل أن تباشر دروسك.. تدخل الجد بمرح كعادته قائلا: يمكنك أن تأتي معنا يا صغيري إذا أنهيت دروسك باكرا. وهكذا كان، حرص على على أن ينهي واجباته ودروسه بسرعة وعندما حان موعد الانطلاق كان أكثرهم استعدادا وفضولا لكشف سر (الدار) التي تحدث عنها والده وركب ثلاثتهم السيارة وانطلقوا في طريقهم، كان الجد منتشيا مسرورا، وكان على متوجسا متشككا يكاد

الفضول يقتله، في حين كان الأب – ويا للعجب – متوترا عصبيا منزعجا ترى ما السبب؟

كانت الطريق التي سلكتها السيارة طويلة جدا، ولكنهم وصلوا أخيرا وفعلا، رأى على الدار التي تحدث عنها والده، وكان فيها الكثير من الشيوخ والعجائز الذين سرعان ما وجد الجد مكانا بينهم، وكانت هناك لائحة كبيرة معلقة على باب الدار كتب عليها بخط أسود عريض (دار العجزة والمسنين).

دهش على مما رآه، هل كان والده يقصد التخلص من الجد العجوز بنقله إلى دار العجزة؟ هل يعقل ذلك؟ لماذا يتخلى الابن عن أبيه الذي لم يتخل عنه قط؟ تساؤلات حائرة ثارت في عقل على الذي تملكه القلق الشديد والخوف على جده المسكين، أما بالنسبة للأب فما إن رأى أن الجد قد استقر في مكانه وانغمس في الحديث مع غيره حتى شد على من يده وغادر الدار، أدرك على أن والده يريد التخلص من الجد العجوز.

وسرعان ما فكر بطريقة ذكية لإنقاذ جده ولكن الوقت لا يسعفه، فسرعان ما انطلقت السيارة به وبوالده تشق طريقها قافلة إلى المنزل كان الأب متوترا وكأنه يتحاشى خوض حديث مع ابنه الذي بادر وسأله: أبي! أين جدي؟ تركناه في الدار. لماذا؟ لأنها مكان الكبار، لزم على الصمت لبرهة ثم قال: أبي ما اسم هذا الشارع؟ رد الأب بضجر: شارع السعادة وما اسم هذه المنطقة؟ منطقة الشهيد، وما اسم...؟ قاطعه أبوه بحدة وضجر وصرخ فيه: أما من نهاية لهذه الأسئلة المزعجة! لماذا تسأل عن هذه الأمور؟ رد على بهدوء: أريد أن أسأل عن العنوان حتى أحضرك إلى هنا عندما تكبر كما أحضرت جدي، أولم تقل بأن هذا مكان الكبار؟ أصيب الأب بذهول مفرط حتى أنه عجز عن قيادة السيارة وأوقفها جانب الطريق وراح يحدق في ابنه بدهشة وبلسان معقود لا يدري ماذا يقول، وفوجئ على بأبيه يغطي وجهه بكفيه ويبكي ندما وهو يردد «سامحني يا أبي» «سامحني يا أبي».

جزع على من بكاء أبيه ولكنه أدرك أنه ندم على تخليه عن أبيه في كبره وإلقائه في دار العجزة، وضع على يده على كتف أبيه وقال: أبي أرجوك، لنعد إلى جدي ونأخذه معنا إلى البيت وقد كان.

عن جابر بن عبد الله ﷺ: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يارسول الله، يريد أبى أن يأخذ مالى، فقال رسول الله ﷺ: «**فأتنى بأبيك**» فلما جاء أبوه قال رسول الله ﷺ: «**مابال ابنك يشكوك أتريد أن تأخذ ماله**» قال: سله يارسول الله لامصرف لماله إلا على عماته وقرابته، أما أصرفه على نفسى وعيالى؟ فنزل جبريل عليه السلام فقال: يارسول الله: قال هذا الشيخ شعرا ماوصل إلى أذنه فسأله رسول الله ﷺ: هل قلت فى نفسك شعرا؟

فاعترف الشيخ، وقال: لايزال يزيدنا الله تعالى بك بصيرة ويقينا، وعرض سبعة أبيات نظمها فى نفسه وهى:

غـذوتك مولـوداً وعلتـكَ يافعـاً ... تُعـلّ بـما أحنـي عليـك وتنهـل
إذا ليلـة ضـافتك بالسـقم لم أبـت ... لسـقمك إلاّ سـاهراً أتململ
كـأني انـا المطـروق دونـك بالـذي ... طرقـت بـه دوني فعينـي تهمـل
تخـاف الـردى عينـي عليـك وإنهـا ... لـتعلم أن المـوت وقـت مؤمّـل
فلـما بلغـت السـن والغايـة التـي ... إليهـا مـدى مـا كنـت فيـك أؤمـل
جعلـت جزائـي غلظـة وفظاظـة ... كأنـك أنـت المـنعم المتفضـل
فليتـك لـو لم تـرعَ حـقّ أبـوّتي ... فعلـت كـما الجـار المجـاور يفعـل

قال جابر: فبكى رسول الله ﷺ ثم أخذ بتلابيب ابنه وقال له: «**اذهب فأنت ومالك لأبيك**» رواه الطبرانى.

فطاعة الوالدين من أوجب الواجبات، وأفضل القربات، وعقوقهما من أكبر الكبائر، فالبر بهما حق لازم، إلا ماحرم فإنه لاطاعة لمخلوق فى معصية الخالق.

ولقد بلغ من عناية الله بحقوق الوالدين أن قرن برهما والإحسان إليهما بعبادته وتوحيده فقال تعالى: ﴿**وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا**﴾ [النساء: ٣٦].

وروي عن ابن عباس أنه قال: الكبائر ثلاث أيات نزلت مقرونة بثلاث لاتقبل منها واحدة بغير قرينتها:

إحداها: قوله تعالى: ﴿**وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ**﴾ [المائدة: ٩٢]. فمن اطاع الله ولم

يطع الرسول لم يقبل منه.

الثانية: قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ فمن صلى ولم يزك لم يقبل منه.

الثالثة: قوله تعالى: ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾ فمن شكر لله ولم يشكر لوالديه لم يقبل منه.

وروى عمرو بن مرة الجهني رضى الله عنه: أن رجلا جاء إلى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله شهدت أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله وصليت الخمس وأديت الزكاة وصمت رمضان، فقال النبى ﷺ: «من مات على هذا كان مع النبيين والصديقين والشهداء يوم القيامة هكذا – ونصب أصبعيه – **مالم يعق والديه**». رواه أحمد والطبرانى.

ورغم ذلك نرى من الناس من تطغيه شهوة النفس، وظلمة الضلال فيعمى عن نور الحق، ويغفل عن أمر الله، فيهدر مروءته، ويتبع شهوته ويعق والديه.

أغرى امرؤ يوماً صبياً جاهلاً ... بنقوده حتى ينال بها الوطرْ
قال ائتني بفؤاد أمك يا فتى ... ولك الجواهر والدراهم والدرر
فمضى وأغرز خنجراً في صدرها ... والقلب أخرجه وعاد على الأثر
لكنه من فرط سرعته هوى ... فتدحرج القلب المقطع إذ عثر
ناداه قلب الأم وهو مُعفّر ... ولدي حبيبي هل أصابك من ضرر
فكأن هذا الصوت رغم حنّوه ... غضب السماء على الغلام قد انهمر
فارتد نحو القلب يغسله بما ... فاضت به عيناه من سيل العبر
ويقول يا قلب انتقم مني ولا ... تغفر فإن جريمتي لا تغفر
واستلّ خنجره ليطعن صدره ... طعناً ليبقى عِبرةً لمن اعتبر
ناداه قلب الأم كُفَّ يداً ولا ... تطعن فؤادي مرتين على الأثر

فكم من أناس ذبحوا أباءهم مرتين، فمنهم من أهان أمه وأذل أباه، وانصرف إلى زوجته وأولاده ناسيا حقوق آبائه عليه، فيتهاون فى القيام بشئونهم، وكثيرا ماتكون الأم فى ضيق أو عسر، فتستغيث بابنها وهو أحب الناس إليها، ومنهم من تناديهم أمهاتهم فيستمعون ولايجيبون وكأن فى آذانهم وقرا وهذا هو العقوق.

فهذا جريج العابد الزاهد يبتليه الله تعالى في مروءته وعفته وطهارته وهى أغلى شيء عنده، لأنه لم يجب نداء أمه ولم يلب طلبها.

عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «**لم يتكلم فى المهد إلا ثلاثة: عيسى ابن مريم، وصاحب جريج، وكان جريج رجلا عابدا، فاتخذ صومعة، فكان فيها فأتته أمه وهو يصلى، فقالت: ياجريج، فقال: يارب أمى وصلاتى فأقبل على صلاته، فانصرفت، فلما كان من الغد أتته وهو يصلى فقالت يا جريج. فقال: يارب أمى وصلاتى؟ فأقبل على صلاته، فانصرفت، فلما كان من الغد أتته وهو يصلى فقالت: يا جريج. فقال أى رب أمى وصلاتى، فأقبل على صلاته، فقالت: اللهم لا تمته حتى ينظر إلى وجوه المومسات، فتذاكر بنو اسرائيل جريجا وعبادته، وكانت امرأة بغى يتمثل بحسنها فقالت: إن شئتم لأفتننه لكم، قال: فتعرضت له فلم يلتفت إليها فأتت راعيا كان يأوي إلى صومعته فأمكنته من نفسها، فوقع عليها فحملت فلما ولدت قالت: هو جريج، فأتوه فاستنزلوه وهدموا صومعته وجعلوا يضربونه فقال: ماشأنكم؟ قالوا: زنيت بهذه البغى فولدت منك، قال: أين الصبى؟ فجاءوا به، فقال: دعونى حتى أصلى، فصلى، فلما انصرف أتى الصبى فطعن فى بطنه وقال: ياغلام من أبوك؟ قال: فلان الراعي، قال: فأقبلوا على جريج يقبلونه ويتمسحون به فقالوا: نبنى صومعتك من ذهب، قال لا أعيدوها من طين كما كانت.**

ويروى أنه كان هناك أب في الخامسة والثمانين من عمره وابنه في الخامسة والأربعين وكانا في غرفة المعيشة وإذا بغراب يطير بالقرب من النافذة ويصيح، فسأل الأب ابنه: ما هذا؟ فرد عليه الابن: غراب، وبعد دقائق عاد الأب وسأل للمرة الثانية: ما هذا؟ فرد الابن باستغراب: إنه غراب!!

وبعد دقائق أخرى عاد الأب وسأل للمرة الثالثة، ما هذا؟ فرد الابن وقد ارتفع صوته: إنه غراب غراب يا أبي!!! وبعد دقائق أخرى عاد الأب وسأل للمرة الرابعة:ما هذا؟

فلم يحتمل الابن واستشاط غضبا وارتفع صوته أكثر وقال: مالك تعيد على نفس السؤال فقد قلت لك إنه غراب هل هذا صعب عليك فهمه؟

عندئذ قام الأب وذهب لغرفته ثم عاد بعد دقائق ومعه بعض أوراق شبه ممزقة وقديمة من مذكراته اليومية ثم أعطاها لابنه وقال له اقرأها!!!

بدأ الابن يقرأ: اليوم أكمل ابني ٣ سنوات وها هو يمرح ويركض هنا وهناك وإذ بغراب يصيح في الحديقة فسألني ابني ما هذا فقلت له إنه غراب وعاد وسألني نفس السؤال لـ ٢٣ مرة وأنا أجبته لـ ٢٣ مرة فحضنته وقبلته وضحكنا معا حتى تعب فحملته وذهبنا فجلسنا.

فقارن بين موقف كليهما، الأب يفرح بتكرار السؤال، والابن مل وغضب بتكرار الجواب!!

وقد أثنى الله تعالى على الأنبياء، وخص بالذكر منهم يحيى عليه السلام لأنه كان برا بوالديه على كبر سنهما. ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا﴾ [مريم: ١٤].

وأطرى على عيسى عليه السلام لتفانيه فى خدمة أمه واعتزازه ببرها واعترافه بفضلها وخفض الجناح لها: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ [مريم: ٣٢].

وقال عن يوسف عليه السلام: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [يوسف: ١٠٠].

فاعلم أخى الحبيب:

أن برك لأبويك
تنال به الجائزة الكبرى

*** فبر الوالدين سبب فى تفريج الكروب وذهاب الهموم والأحزان**

وعلى الأبناء أن يقتدوا فى بر آبائهم بما قصه رسول الله ﷺ حيث قال: «بينما ثلاثة يتماشون أخذهم المطر فمالوا إلى غار فى الجبل، فانحطت على فم غارهم صخرة من الجبل فأطبقت عليهم، فقال بعضهم لبعض: انظروا أعمالا عملتموها لله صالحة، فادعوا الله لعله يفرجها فقال أحدهم: اللهم إنه كان لى والدان شيخان كبيران ولى صبية صغار كنت أرعى عليهم، فإذا رحت عليهم فحلبت بدأت بوالدي أسقيهما قبل ولدى، وأنه ناء بى الشجر

فما أتيت حتى أمسيت فوجدتهما قد ناما، فحلبت كما كنت أحلب، فجئت بالحلاب فقمت على رءوسهما أكره أن أوقظهما من نومهما وأكره أن أبدأ بالصبية قبلهما، والصبية يتضاغون عند قدمى فلم يزل ذلك دأبى ودأبهم حتى طلع الفجر. فإن كنت تعلم أنى فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج لنا فرجة نرى منها السماء ففرج الله فرجة فرأوا منها السماء».

بهذه القصة الواقعية يعتبر المسلم العاقل، ويوقن أن إرضاء والديه سبب فى حلول الفرج إذا بلغت الشدة غايتها، وتسهيل العسير إذا استحكمت عقدها، فإذا رضي الوالدان رضي الله وانحلت العقدة ولان القاسى وسهل العسير وتحققت الأمانى.

فقد ذكر القشيرى أن امرأة جاءت إلى بقى بن مخلد فقالت له: إن ابنى قد أسرته الفرنج، وإنى لا أنام الليل من شوقى إليه، ولى دويرة أريد أن أبيعها لأفديه بها، فإن رأيت أن تشير إلى من يأخذها ويسعى فى فكاكه، فليس لى ليل ولا نهار ولا صبر ولا قرار، فقال: نعم انصرفى حتى ننظر فى ذلك إن شاء الله، وأطرق الشيخ وحرك شفتيه يدعو الله عز وجل لولدها بالخلاص فذهبت فما كان غير قليل حتى جاءت وابنها معها فقالت: اسمع خبره يرحمك الله تعالى فقال: كيف كان أمرك؟ فقال: إنى كنت فيمن يخدم الملك ونحن فى القيود، فبينما أنا ذات يوم أمشى إذ سقط القيد من رجلى، فأقبل على الموكل بى فشتمنى وقال: فككت القيد من رجليك، فقلت: لا والله ولكن سقط ولم أشعر، فجاءوا بالحداد فأعاده وسمر مسماره وزيده ثم قمت فسقط فسألوا رهبانهم فقالوا: ألك والدة؟ فقلت: نعم، فقالوا: إنه قد استجيب دعاؤها له فأطلقوه، فأطلقونى وخفرونى إلى أن وصلت إلى بلاد الإسلام، فسأله عن الساعة التى سقط القيد، من رجليه فيها فإذا هى الساعة التى دعا له فيها.

* الولد الباريهنأ بعمره ويطمئن فى عمله وتحفه السعادة

وما أهنأ العيش إذا رافقته طمانينة النفس، وراحة الضمير ومحبة الناس، أما من قدر عليه رزقه، وضاقت به سبل العيش وخشى قصر العمر فقد وصف له النبى ﷺ العلاج الشافى فقال فيما يرويه أنس رضى الله عنه: «**من سره أن يمد له فى عمره، ويزاد له فى رزقه فليبر والديه وليصل رحمه**» [رواه أحمد].

وعن وهب بن منبه رحمه الله تعالى: أن الله تعالى قال: يا موسى وقر والديك فإنه من وقر والديه مددت فى عمره، ووهبت له ولدا يبره، ومن عق والديه قصرت عمره، ووهبت له ولدا يعقه.

وقال عليه الصلاة والسلام: «**إن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه ولا يرد القدر إلا بالدعاء، ولا يزيد فى العمر إلا البر**» [رواه ابن ماجه وابن حبان].

وعن رافع بن مكيف رضى الله عنه- وكان ممن شهد الحديبية- أن النبى ﷺ قال: «**والبر زيادة فى العمر، والصدقة تمنع ميتة السوء**» [رواه أحمد].

وهذا مثال للولد البار يؤثر فيه رضى الله على حطام الدنيا، فرضي الله عنه وأتاه من الدنيا فوق ما كان يحلم به ويصبو إليه.

عن طاووس عن أبيه قال: كان رجل له أربعة بنين فمرض فقال أحدهم: إما أن تمرضوه وليس لكم من ميراثه شىء، وإما أن أمرضه وليس لى من ميراثه شىء، فقالوا: بل تمرضه، وليس لك من ميراثه شىء، فمرضه حتى مات ولم يأخذ من ميراثه شيئا، قال: فأتى فى المنام فقيل له: ائت مكان كذا وكذا فخذ منه مئة دينار، فقال: أفيها بركة؟ قالوا: لا، فلما أصبح ذكر ذلك لامرأته فقالت: خذها فإن من بركتها أن نكتسي منها ونعيش بها، فأبى أن يأخذها، فلما أمسى أتى فى المنام فقيل له: ائت مكان كذا وكذا فخذ منه عشرة دنانير، فقال: أفيها بركة؟ قالوا: لا، فلما أصبح ذكر ذلك لامرأته، فقالت له مثل ذلك، فأبى أن يأخذها، فأتى فى الليلة الثالثة فقيل له: ائت مكان كذا وكذا وخذ منه دينارا قال: أفيه بركة؟ قالوا: نعم. قال: فذهب وأخذ الدينار، ثم خرج إلى السوق فإذا هو برجل يحمل حوتين فقال: بكم هما؟ قال: بدينار فأخذهما منه، وانطلق بهما إلى بيته،فلما شقهما وجد فى بطن كل واحد منهما درة لم ير الناس مثلها، فبعث الملك يطلب درة يشتريها فلم توجد إلا عنده، فباعها بثلاثين حملا ذهبا، فلما رأها الملك قال: ماتصلح هذه إلا بأخت، فاطلبوا أختها، ولو أضعفتم الثمن فجاؤوه فقالوا:أعندك أختها ونعطيك ضعف ما أعطيناك، قال: نعم. فأعطاهم الثانية بضعف ماباع به الأولى. وصدق عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عندما قال: رضى الرب فى رضى الوالد وسخط الرب فى سخط الوالد.

*** وبر الوالدين كفارة للذنوب والمعاصى.**

قال ابن عمر رضى الله عنه لرجل: أتخاف النار أن تدخلها، وتحب الجنة أن تدخلها فقال: نعم. قال: بر أمك، فوالله لئن ألنت لها الكلام، وأطعمتها الطعام لتدخلن الجنة ما اجتنبت الموجبات.

وروى عن عمر: أن رجلا قال له: قتلت نفسا؟ قال: أمك حية؟ قال: لا، قال: فأبوك: قال: نعم، قال: فبره وأحسن إليه.

ثم قال عمر: لو كانت أمه حية فبرها وأحسن إليها رجوت أن لا تطعمه النار أبدا.

وقال مكحول والإمام أحمد «بر الوالدين كفارة الكبائر».

وروى الترمذى من حديث ابن عمر رضى الله عنهما: أن رجلا أتى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله إنى أصبت ذنبا عظيما، فهل لى من توبة؟ فقال: **هل لك من أم؟** قال: لا. قال: **هل لك من خالة؟** قال: نعم، قال: **فبرها.**

وفى الحديث الذى رواه أبو هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «**رغم أنف، رغم أنف، ثم رغم أنف من أدرك أبويه عند الكبر أحدهما أو كلاهما، فلم يدخله الجنة**» [رواه مسلم].

وعن أبى الدرداء رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**الوالد أوسط أبواب الجنة، فإن شئت فأضع ذلك الباب أو احفظه**».

فاعلم أن عقوق الوالدين إضاعة لأوسط أبواب الجنة، وأوسطها أعدلها وأكثرها خيرا، والأمر بالإحسان إليهما عام مطلق ينضوي تحته ما يرضى الابن وما لا يرضيه من غير احتجاج ولا جدل ولا مناقشة.

وهذه نقطة مهمة جدا يجب الانتباه إليها لأن أكثر الأبناء يغفلون عنها إذ يحسبون أن البر فيما يروق لهم، ويوافق رغباتهم، والحقيقة على عكس ذلك تماما، فالبر لايكون إلا فيما يخالف أهواءهم وميولهم ولو كان فيما يوافقهما لما سمى برا.

وشروط البر ثلاثة:

الأول: أن يؤثر الولد رضا والديه على رضا نفسه وزوجته وأولاده والناس أجمعين.

الثانى: أن يطيعهما فى كل ما يأمرانه به وينهيانه عنه سواء أوافق رغباته أم لم يوافقه، ما لم يأمران بمعصية الله تعالى.

الثالث: أن يقدم لهما كل ما يلحظ أنهما يرغبان فيه من غير أن يطلباه منه عن طيب نفس وسرور، مع شعوره بتقصيره فى حقهما ولو بذل لهما دمه وماله.

وعن أبى غسان الضبى قال: خرجت أمشى مع أبى بظهر الحرة، فلقينى أبو هريرة رضى الله عنه فقال لى: من هذا؟ قلت: أبى، قال: لا تمش بين يدى أبيك، ولكن أمشى خلفه أو إلى جانبه، ولا تدع أحدا يحول بينك وبينه، ولا تمش فوق سطح أبيك تخيفه، ولا تأكل عرقا قد نظر أبوك إليه لعله قد اشتهاه.

وعن محمد بن سيرين قال: بلغت النخلة على عهد عثمان بن عفان رضى الله عنه ألف درهم قال: فعمد أسامة رضى الله عنه إلى نخلة فنقرها وأخرج جمارها فأطعمها أمه فقالوا له: ما يحملك على هذا وأنت ترى النخلة قد بلغت ألف درهم؟ قال: إن أمى سألتنيه، ولا تسألنى شيئا أقدر عليه إلا أعطيتها.

وذكروا أن أعرابيا حمل أمه على ظهره، وراح يطوف بها حول البيت وهو يقول:

إنـى لهـا مطيـة لا أذعـر ... إذا الركـاب نفـرت لا أنفـر

مـا حملـت وأرضعتني أكثر ... الله ربـى ذو الجـلال أكـبر

ثم التفت إلى ابن عباس وقال: أترانى قضيت حقها؟

قال: لا والله ولا طلقة من طلقاتها. [رواه البيهقى].

وروى أن الفضل بن يحيى كان فى السجن مع أبيه، فلم يقدر على تسخين الماء، فكان الفضل يأخذ الإبريق النحاس وفيه الماء، فيلصقه إلى بطنه زمانا عساه أن تنكسر برودته بحرارة بطنه حتى يستعمله أبوه بعد ذلك.

وقيل لعلى بن الحسين بن على رضى الله عنهم: أنت من أبر الناس ولا نراك تؤاكل أمك؟

فقال: أخاف أن تسبق يدى إلى ماقد سبقت إليه عينها فأكون قد عققتها.

فلا تعجب من هذا الجواب فقائله من بيت النبوة، نشأ فى الإسلام على التقوى، وعرف حق أمه عليه، فأقام لنفسه حدا دونه.

عرف أن البر لايكون بالكلام، وإنما عليه اطمئنان فى النفس واعتراف بالفضل، ونكران للذات، وأن الرضا لايكون باللسان وإنما هو شعور يتدفق من القلب ويجرى مع الدم فتنبسط له أسارير الوجه ويبش.

عرف أن البر بالأم أن يشعر الولد بشعورها، ويدرك بحدسه مايجول فى نفسها، ويفهم من نظراتها مرادها، فإذا فقد هذه المعانى فقد حقيقة البر.

ولم ننس المثال الكبير في البر: كما في قصة سيدنا إسماعيل، عندما قال ذلك الابن البار: ﴿قَالَ يَاأَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ الله مِنَ الصَّابِرِينَ﴾

وفى الموروث الصينى حكاية جميلة تقول:

بكى رجل (لاحظ أنه رجل وليس طفلا أو صبيا) بعد أن ضربته أمه العجوز بالعصا، فسألته أمه عما يبكيه ولم يكن يفعل ذلك من قبل إذا ضربته، بل كان يضحك فى حياء أو يصمت خجلا فقال: لم أبك للضرب، وإنما بكيت لأنى وجدت يدك قد ضعفت عن ذى قبل.

فيا أيها الأخ الحبيب:

إذا أردت أن تكون سعيدا فى حياتك، موفقا فى أعمالك، فائزا فى الدنيا والآخرة، ناجيا من عذاب الله يوم القيامة، فاتبع النصائح التالية:

- أطع أمك وأباك فى كل ما يأمرانك به، مالم يكن معصية.
- خاطبهما بلطف وأدب ولا تعبس فى وجههما، ولا تحدق النظر إليهما غاضبا.

- انهض لهما إذا دخلا عليك.
- قبل يديهما صباحا عند انصرافك إلى أعمالك، ومساء عند عودتك إلى بيتك.
- حافظ على سمعتهما وشرفهما وما لهما.
- أكرمهما وأعطهما كل ما يطلبان.
- شاورهما في أعمالك وأمورك كلها.
- لا تتكبر في الانتساب إلى أبيك ولو كنت موظفاً كبيراً، وأحذر أن تنكر معروفهما أو تؤذيهما ولو بكلمة.
- لا تبخل بالنفقة على والديك حتى يشكواك، فهذا عار عليك، وسترى ذلك من أولادك فكما تدين تدان.
- أكثر من زيارة والديك وتقديم الهدايا لهما، واشكرهما على تربيتك وتعبهما عليك.
- إذا طلبت شيئًا من والديك فتلطف بهما واشكرهما إن أعطياك، واعذرهما إن منعاك، ولا تكثر طلباتك لئلا تزعجهما.
- إن لوالديك عليك حقاً ولزوجتك عليك حقا، فأعط كل ذي حق حقه، وحاول التوفيق بينهما إن اختلفا وقدم الهدايا للجانبين سراً.
- أكثر من الدعاء والاستغفار لهما.
- إذا كان عندهما ضيف فاجلس بقرب الباب وراقب نظراتهما لعلهما يأمران بشيء.
- اعمل ما يسرهما من غير أن يأمراك به.
- لا ترفع صوتك عاليا أمامهما.
- لا تقاطعهما أثناء الكلام.

- لا تجادلهما فى أمر وإذا كنت على يقين من رأيك فحاول أن تقنعهما بالحسنى، فإن أصرا على رأيهما فلا تعاندهما ولو كانا على خطأ.
- لا تكذب عليهما، ولا تأخذ شيئا لم يأذنا به.
- لا تخرج للجهاد، ولا تسافر إذا لم يأذنا لك.
- لا تزعجهما إذا كانا نائمين.
- لا تفضل زوجتك وولدك عليهما.
- لا تلمهما إذا عملا عملا لا يعجبك.
- لا تضحك بحضرتهما إذا لم يكن ثمة سبب للضحك.
- لا تتناول طعاما مما يليهما.
- لا تمد يدك إلى الطعام قبلهما.
- لا تنم ولا تضطجع وهما جالسان.
- لا تمد رجلك أمامهما.
- لا تمش بجانب أبيك فى الطريق بل تأخر عنه قليلا.
- لا تجلس فى مكان أعلى من مكانهما.
- لب نداءهما مسرعا إذا ناداك.
- لا تصاحب غير رجل بار بوالديه.

فمن كان له أبوان فليهنأ بهما، وليحرص عليهما وليسع جهده فى إرضائهما لأنه أوتى سعادة الدنيا والآخرة، ومن فقد أحدهما فقد خسر نصفها، فليحرص على نصفها الآخر قبل أن تزول، ومن فجعه الدهر بهما فلا ينسهما فى صلاته ودعواته.

زر والديك وقف على قبريهما ... فكأنني بك قد نقلت إليهما
لو كنت حيا حيث هما وكانا ... بالبقا زاراك حبوا لا على قدميهما
كانا إذا سمعا أنينك أسبلا ... دمعيهما؟أسفا على خديهما
فنسيت حقهما عشية أُسكنا ... دار البلا وسكنت فى داريهما
فلتحلقنهما غدا أو بعده ... حتما كما لحقا هما أبويهما
بشراك لو قدمت فعلا صالحا ... وقضيت بعض الحق من حقيهما

ومن أصبح منكم أبا يدرك هذا ومن لم يصبح فعما قريب.

فبروا أباءكم يبركم أبناؤكم.

بروا أباءكم فالحياة دين ووفاء.

تحدث أحد الآباء أنه قبل خمسين عاما حج مع والده، بصحبة قافلة على الجمال، وفى الطريق رغب الأب فى قضاء حاجته، فأنزله الابن من على البعير، ومضى الأب لقضاء حاجته وقال للابن: انطلق مع القافلة وسوف ألحق بكم، مضى الابن وبعد برهة من الزمن التفت الابن ووجد أن القافلة بعدت عن والده، فعاد جاريا على قدميه، ليحمل والده على كتفه، ثم انطلق يجرى به ليلحق بالقافلة، يقول الابن: وبينما هو كذلك، أحسست برطوبة تنزل على وجهى وتبين أنها دموع أبى فقلت لأبى: والله إنك أخف على كتفى من الريشة فقال الأب: ليس لهذا بكيت، ولكن فى هذا المكان حملت أنا والدى.

وهذه رسالة أب عجوز لولده اقرأها بهدوء وتمعن فيها:

ابنى العزيز: عندما يحل اليوم الذى ستراني فيه عجوزاً، أرجو أن تتحلى بالصبر وتحاول فهمي، إذا اتسخت ثيابي أثناء تناولي الطعام، إذا لم أستطع أن أرتدي ملابسى بمفردي، تذكر الساعات التى قضيتها لأعلمك تلك الأشياء، إذا تحدثت إليك وكررت نفس الكلمات ونفس الحديث آلاف المرات، لا تضجر مني، لا تقاطعني، وأنصت إلى عندما كنت صغيراً يا بني، قرأت لك نفس القصة والحدوتة إلى أن تنام.

عندما لا أريد أن أستحم لا تعايرني ولا تتسلط على، تذكر عندما كنت أطاردك

وأعطيك آلاف الأعذار، لأدعوك للاستحمام.

عندما تراني لا أستطيع أن أجاري وأتعلم التكنولوجيا الحديثة، فقط أعطني الوقت الكافي ولا تنظر إلى بابتسامة ماكرة وساخرة، تذكر أنني الذي علمتك كيف تفعل أشياء كثيرة كيف تأكل،كيف ترتدي ملابسك كيف تستحم كيف تواجه الحياة.

عندما أفقد ذاكرتي أو أتخبط فى حديثي، أعطني الوقت الكافي لأتذكر، إذا لم أستطع لا تفقد أعصابك، حتى ولو كان حديثي غير مهم فيجب أن تنصت إلى.

إذا لم أرغب بالطعام لا ترغمني عليه، عندما أجوع سوف آكله.

عندما لا أستطيع السير بسبب قدمي المريضة، أعطني يدك بنفس الحب والطريقة التي فعلتها معك لتخطو خطوتك الأولى.

عندما يحين اليوم الذى أقول لك فيه، إنني مشتاق للقاء الله فلا تحزن ولا تبكي حاول أن تتفهم أن عمري الآن قد قارب على الانتهاء.

وفي يوم من الأيام سوف تكتشف أنه بالرغم من أخطائي، فإننى كنت دائماً أريد أفضل الأشياء لك وقد حاولت أن أمهد لك جميع الطرق.

ساعدني على السير، ساعدني على تجاوز طريقي بالحب والصبر، مثلما فعلت معك دائماً.

ساعدني يا بني على الوصول إلى النهاية بسلام، أتمنى أن لا تشعر بالحزن، ولا حتى بالعجز حين تدنو ساعتي، فيجب أن تكون بجانبي وبقربي وتحاول أن تحتويني مثلما فعلت معك عندما بدأت الحياة.

حاول يا بني أن لا تجرحني بتعليقاتك أو ملاحظاتك، أمام زوجتك وأولادك بل اتركها بيني وبينك بالهدوء والروية.

يا بني: إني أخاف عليك من يوم، ستقف فيه ذلك الموقف الضعيف، أمام أهلك وأحبائك، فالدنيا دين ووفاء، وكما تدين تدان.

يا بني: لا تنس قول الله عز وجل: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا. وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٣، ٢٤]. صدق الله العظيم

أحبك يا بني العزيز / أبوك

العيش ماض فأكرم والديك ... والأم أولى بإكرام وإحسان
وحسبها الحمل والإرضاع ... أمران بالفضل نالا كل إنسان

فعليك أخي الحبيب

إذا أدرت أن تفوز بجائزة
من جوائز السماء أن تبر والديك

***

الجواهر المفقودة

وما المرء إلا بإخوانه ... كما تفيض الكف بالمعصم

ولا خير فى الكف مقطوعة ... ولا خير فى الساعد الأجذم

توفي شخص كان يعيش وحيداً وهو يشاهد التلفاز ثم تحللت جثته فوق الأريكة التي كان يجلس عليها دون أن يدري به أحد طوال أربع سنوات، وقد تم اكتشاف جثة هربرت ألتمان -٥٧عاما- من قبل عمال بناء جاءوا لترميم ما قيل لهم بأنه منزل مهجور في مدينة برلين الألمانية. وقال متحدث باسم الشرطة:

لقد كان منظراً غريباً حيث أن جثته كانت في وضع الجلوس الذي كان عليه أمام التلفاز بسبب الوسائد المحيطة به. لقد كانت جثته محنطه تماما. ولم يبلغ أحد عن غياب ألتمان وظلت خدمات الكهرباء تقدم له لأنه كان يدفع تلقائيا عن طريق البنك.

إن مما يميز الله تعالى به الإنسان ويكرمه تلك الحياة التى يحياها فى كنف الأهل والعشيرة والأسرة، فتجده محفوفا بأب وأم، وأخ وأخت، وجد وجدة، وخال وخالة، وعم وعمة، وأبناء وأحفاد، فإذا نزلت النوازل، رأيته يفزع إلى تلك القرابة تشاركه فرحته، فيسرون لسروره ويسر هو بقربهم.

فهذا على بن أبى طالب يقول: أكرم عشيرتك فإنهم جناحك الذى به تطير، فإنك بهم تصول، وبهم تجول، وهم العدة عند الشدائد، أكرم كريمهم، وعد سقيمهم، وأشركهم فى أمورك، ويسر عن معسرهم.

ويروى أن زوجة طلحة بن عبد الرحمن بن عوف- وكان أجود قريش- قالت له: مارأيت قوما ألأم من إخوانك؟

قال لها: مه.....ولم ذلك؟

قالت: أراهم إذا أيسرت لزموك وإذا أعسرت تركوك، فقال لها: هذا والله من كرم أخلاقهم يأتوننا فى حال قدرتنا على إكرامهم، ويتركوننا فى حال عجزنا عن القيام بحقهم.

تلك هى القرابة والرحم التى حث الإسلام على وصلها، وحذر من قطيعتها فالإسلام يهدف لبناء مجتمع متكامل متراحم متعاطف تسوده المحبة ويسيطر عليه حب الخير، مجتمع بعيد عن الحقد بعيد عن القطيعة.

لذلك نرى رسول الله ﷺ يذكر ذلك فيقول:

«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت» البخارى.

ولقد عني القرآن الكريم بشأن الرحم عناية بالغة، لأن صلة الرحم يتوقف عليها الالتحام والتكتل والتعاطف بين الناس، ولذلك فلا عجب أن نرى فى القرآن الكريم ذكر الرحم مع ذكر الله فى آية واحدة، قال تعالى: ﴿**وَاتَّقُواْ اللهَ الَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً**﴾ [النساء: ١].

ومع ذلك نجد فى وقتنا المعاصر وبرغم توفر مختلف وسائل النقل والاتصال إلا أنه لايزال هناك تقصير فى صلة الرحم.

فالمرء قد يشد الرحال إلى بلد بعيد للسياحة والتسلية والترفيه ولكنه يتثاقل زيارة لأحد أرحامه، وهو ربما فى نفس مدينته أو بلده أو ربما الحى الذى يسكن فيه، وكذلك الاتصال الهاتفى بصديقه يكون أسهل من الاتصال بالأهل، كما أنه يكثر من زيارة الأصدقاء والالتقاء بهم بينما لايكلف نفسه زيارة أحد من أرحامه ولو لمرة كل شهر.

فإنه يقال: إذا كان لك قريب فلم تمش إليه برجلك ولم تعطه من مالك فقد قطعته.

فهل تدرى ماذا تعنى صلة الرحم؟ إنها تعنى الفوز برضا الله تعالى!!! وإذا رضى الله عن عبد من عباده، أصلح له دنياه وأعانه على طاعته، وصرف عنه كل سوء فهو القائل فى الحديث القدسى: إذا أطاعنى عبدى رضيت عنه وإذا رضيت عنه باركت له وليس لبركتى نهاية، وإذا عصانى عبدى غضبت عليه وإذا غضبت عليه لعنته ولعنتى تصيب السابع من الولد.

وإذا كان يوم القيامة، منحه أغلى جائزة وهى الجنة، فأين أنت من هذه المنحة الغالية؟

عن أبى أيوب ﷺ أن أعرابيا عرض لرسول الله ﷺ وهو فى سفره فأخذ بخطام ناقته، أو بزمامها ثم قال: يارسول الله – أو يامحمد – أخبرنى بما يقربنى من الجنة، ومايباعدنى من النار، قال: فكف النبى ﷺ ثم نظر فى أصحابه، ثم قال: **«لقد وفق، أو هدى»**، قال:

«كيف قلت»، قال: فأعاد، فقال النبى ﷺ: «**تعبد الله لاتشرك به شيئا، وتقيم الصلاة، وتؤتى الزكاة، وتصل الرحم، دع الناقة**» [رواه البخارى ومسلم].

إنها سلعة الله الغالية، ومن فاز بها، فذلك هو الفائز حقا.

فإذا أردت أن تقف على باب الكنز الملىء بالجواهر لتحصل عليها فسأطلعك على خريطة الوصول إليه فتكون دافعا للاستزادة إن كنت من الواصلين لرحمهم، وإن كنت من القاطعين لرحمهم فلا تحرمنَ نفسك من معرفة طرق الحصول عليها عساك أن تكون من الفائزين بها من الآن:

الجوهرة الأولى: صلة الرحم تزيد فى الرزق والعمر

فلتعلم أن صلة الرحم، سبب فى زيادة الأرزاق والأعمار وإذا أردت أن تعرف ذلك، فها هو النبى ﷺ يخبرك بذلك.

قال رسول الله ﷺ: «**من سره أن يبسط له فى رزقه، وأن ينسأ له فى أثره فليصل رحمه**» [البخاري ومسلم].

وقال ﷺ: «**إنه من أعطى حظه من الرفق، فقد أعطى حظه من خير الدنيا والآخرة، وصلة الرحم، وحسن الخلق وحسن الجوار، يعمران الديار، ويزيدان فى الأعمار**» [رواه أحمد].

قال ابن عمر رضى الله عنهما: من اتقى ربه ووصل رحمه، أنسىء له فى عمره وأثرى له فى ماله، وأحبه أهله.

الجوهرة الثانية: صلة الرحم سبب فى عون الله وتأييده

وهذه من الفوائد العظيمة لصلة الرحم، فإن العبد إذا أعانه الله تعالى، وكان معه فلن يصيبه سوء أبدا.

جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال: إن لى قرابة أصلهم ويقطعونى وأحسن إليهم ويسيئون إلى وأحلم عنهم ويجهلون على، فقال: «**لئن كنت كما قلت، فكأنما تسفهم المل** (الرماد الحار) **ولايزال معك من الله ظهير عليهم، مادمت على ذلك**» [رواه مسلم].

الجوهرة الثالثة: من وصل رحمه وصله الله

وهذه جائزة أخرى يمكنك الحصول عليها، فإن الواصل لرحمه سيجازى بصلة الله له، ومن وصله الله كان ذلك دليلا على سعادته وتوفيقه.

قال رسول الله ﷺ: «**الرحم معلقة بالعرش تقول: من وصلنى وصله الله ومن قطعنى قطعه الله**» [رواه البخارى ومسلم].

الجوهرة الرابعة: صلة الرحم تجلب حب الأهل

واصل رحمه محبوب من أهله وأرحامه، مذكور بينهم بكل خير، قال رسول الله ﷺ: «**تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم فإن صلة الرحم محبة فى الأهل، مثراة فى المال منسأة فى الأثر**» [رواه الطبرانى].

الجوهرة الخامسة: صلة الرحم من أسباب غفران الذنوب

وهذه واحدة من الجواهر التى لا يفطن إليها الكثيرون، أتى النبى ﷺ رجل، فقال: إنى أذنبت ذنبا عظيما فهل لى من توبة؟ فقال: «**هل لك من أم؟**» قال: لا، قال: «**هل لك من خالة؟**» قال: نعم، قال: «**فبرها**» [رواه الترمذى وابن حبان والحاكم].

الجوهرة السادسة: صلة الرحم سبب فى مضاعفة الثواب

قال النبى ﷺ: «**الصدقة على المسكين صدقة، وهى على ذى الرحم ثنتان: صدقة وصلة**» [رواه النسائى والترمذى وابن ماجه].

فاحرص أخى:

على الفوز بإحدى هذه الجوائز أو كلها وإياك أن تكون من العاجزين، وإذا أردت أن تكون من أولئك الفائزين الواصلين لأرحامهم فتذكر قول الإمام النووى رحمه الله:

صلة الرحم هى الإحسان إلى الأقارب على حسب حال الواصل والموصول، فتارة تكون بالمال، وتارة بالخدمة، وتارة بالزيارة والسلام وغير ذلك.

ومن المظاهر الجميلة التى تحمل معنى صلة الرحم: الود والمحبة المتبادلان بين

الأقارب، وقد قيل إن حق الأقارب: إعظام الأصغر للأكبر، وحنو الأكبر على الأصغر.

ولتعلم أخى:

* **أن أعلى درجات صلة الرحم**: أن تصل أرحامك وإن قطعوك – فليس ضروريا أن يصلوك– حتى تجازيهم على هذه الصلة، بل الواجب عليك أن تصلهم مهما حدث منهم من قطيعة.

قال النبى ﷺ: «**ليس الواصل بالمكافىء، ولكن الواصل الذى إذا قطعت رحمه وصلها**» [رواه البخارى].

* **وإن أدناها**: التزاور بين الأرحام.

قال: عمرو بن دينار رحمه الله: تعلمن أنه ما من خطوة بعد الفريضة أعظم أجرًا من خطوة إلى ذى رحم.

وقد أرشدنا النبى ﷺ إلى أقل أحوال صلة الرحم وهو أمر لا يعجز عنه أحد فقال: «**بلوا أرحامكم ولو بالسلام**» [رواه البزار].

فإذا أردت أن تكون سعيدا فى حياتك، موفقا فى أعمالك، فائزا فى الدنيا والآخرة، ناجيا من عذاب الله يوم القيامة،حاصدا للجواهر فاتبع النصائح التالية مع أهلك وأرحامك:

- الإحسان إليهم بإيصال ما أمكن من الخير ودفع ما أمكن من الشر بحسب الطاقة.
- تكرار الزيارة الأسبوعية والشهرية والسنوية حسب الإمكان وتفقد أحوالهم.
- دفع الصدقة إليهم وإخراج الزكاة فيهم إن كانوا من أهلها.
- قصدهم بالهدية والعطية والوصية لغير الورثة.
- قضاء ديونهم والنفقة عليهم والرفق بهم.

- مشاركتهم في أفراحهم وأحزانهم وحضور مناسباتهم واستضافتهم.
- الابتسامة لهم والحفاوة بهم وحسن الاستقبال.
- الحرص على لم الشمل.
- خدمتهم بالجاه وقضاء حوائجهم والشفاعة لهم في غير إضرار بغيرهم.
- الاتصال بهم وإرسال الرسائل.
- العدل والإنصاف مع القيام بالحقوق الواجبة والمستحبة.
- التغافل عن زلاتهم وقبول أعذارهم والصبر على أذيتهم ونسيان معايبهم.
- الدعاء لهم.
- الحذر من الحسد ممن له حظ، وإظهار الفرح لما ينالهم من الخير.
- المزاح المعتدل معهم.
- إنزالهم منازلهم كتوقير الكبير ورحمة الصغير.
- محاولة التعرف على مشكلاتهم ووضع حلول مثل: العنوسة- العقوق- البطالة- المرض- الفقر- الجهل.
- عيادة مرضاهم وتشييع جنائزهم وتعزيتهم وإجابة دعوتهم ومكافأة معروفهم.
- المداراة والحذر من الخصام والجدال معهم.
- الاعتزاز بالانتساب إليهم.
- إصلاح ذات البين والحذر من التحزب ومن الغيبة والنميمة.

فكن أخى الحبيب:

ذلك الشفيق، الواصل لرحمه، وكن حريصا على صلة أرحامك، وإن قاطعوك، وكن

قريبا منهم بيدك وصوتك ومالك، وكن عونا لرشيدهم، وواعظا لسفيههم،فإن كنت كذلك، فقد صرت فى الطريق الصحيح ووجدت الكنز وحصلت على الجواهر المفقودة وفزت بجائزة من جوائز السماء

فعليك أخى الحبيب:

إذا أردت أن تفوز بجائزة
من جوائز السماء أن تصل رحمك

اغتنم

اللؤلؤة النفيسة

اصبر على مضض الإدلاج في السحر
و في الرواح وفي الطاعات وفي البكر

إني رأيت وفي الأيام تجربة
للصبر عاقبة محمودة الأثر

وقلّ من جد في أمر يؤمله
واستصحب الصبر إلا فاز بالظفر

على بن أبى طالب

تقول إحدى السيدات أنها رزقت قبل سنوات بطفل مريض، وضع مباشرة في العناية المركزة منذ ولادته، وشخّص الأطباء حالته أنه يعاني (شللاً دماغياً) وأن كل أطرافه لا تتحرك، بل الرئة لا تتحرك فهو يتنفس بجهاز صناعي، وينكسر قلب هذه الأم على طفلها الذي انتظرته تسعة شهور لتراه على السرير طريحا، الأجهزة تحيط به، الأنابيب توصل له الغذاء والهواء!! لا يفتح عينيه بل لا يتحرك شيء من عضلات جسده عدا قلبه!!

يا الله، كيف تحملت الأم هذا المنظر! يأتيها الأطباء كل يوم يحاولون إقناعها بإزالة الأجهزة وتركه ليموت، فهذا سيكون مصيره حتما!! أو أنه سيعيش مشلولا شللا كاملا!! ومع هذا تصر الأم على إبقائه!! فوالله لو أخرجوا قلبها من جسدها لكان أهون عندها من إيقاف الأجهزة عن طفلها!

ظلت هذه الأم أربعين يوما عند طفلها، تدعو له وتقرأ القرآن وتمسح بخرقة مبللة بماء (زمزم) وجهه وتبل شفتيه وترطب لسانه!! ولكم أن تتصوروا هذا المشهد الحزين، والأطباء يستغربون من فعلها!! بعد أربعين يومًا، حدثت المفاجأة! الطفل بدأ يتنفس،الأطباء يستغربون!! الفريق الطبي يجتمع، ماذا حدث؟!أمر مستغرب!! إنها قدرة الله! الطفل يتنفس وحده!! وبعد أيام تبشر الممرضة الأم عند قدومها ابنك فتح عينيه!! يا الله!! أزالوا الأجهزة عنه، ولكنه لا يحرك شيئا من أطرافه!! سيظل الطفل بشلله الكامل أبد الدهر! هذا كلام الأطباء، مع هذا أحضرت أمه كل ما يحتاج إليه من أجهزة وممرضات إلى البيت وظلت تعتني به سنوات وسنوات، من علاج طبيعي إلى عمليات، من بلد إلى بلد تقول إنها ذهبت به إلى الحرم في رمضان، وكان الجبس يلفه إثر عملية أجريت له، وحملته وهو ثقيل وكان بجنبها في صلاة التراويح.

كانت سنوات صعبة للغاية مع طفل مصاب بالشلل في جسده كله.. والآن بلغ الطفل (١٥) سنة، أنعم الله عليه بالعافية، هو الآن يمشي ويركض ويلعب ويدرس، ليس بينه وبين الأولاد فرق يذكر!! سبحان الله.

إن مصائب الدنيا كثيرة وهمومها عديدة، ولايكاد الإنسان يصحو من هم أو ينجو من مصيبة حتى يبتلى بأخرى وفى ذلك يقول المتنبى:

نعد المشرفية والعوالى ... وتقتلنا المنون بلا قتال
رمانى الدهر بالأرزاء حتى ... فؤادى فى غشاء من نبال
فصرت إذا أصابتنى سهام ... تكسرت النصال على النصال
وهات فما أبالى بالرزايا ... لأنى ما انتفعت بأن أبالى
يدفن بعضنا بعضا وتمشى ... أواخرنا على هام الأوالى

والمصاب أنواع منوعة وألوان ملونة، فقد يبتلى الإنسان بفقد صاحب، أو مرض صديق، أو إساءة قريب، أو نكران جميل، وعندما يتعامل الإنسان مع الناس فإنه يتعرض إلى العديد من العقبات والمشكلات، فقد يتعرض لكلمة جارحة، أو مكيدة ماكرة، أو فظاظة منفرة، وربما يتعرض إلى إيذاء شديد، أو ابتلاء طويل ففى ماله أو دينه أو عرضه أو بدنه.

ويجتمع هم على هم، وتتراكم مصيبة على مصيبة، فتعم البلوى وتشتد الأزمة وتسوء العاقبة، ولايسلم منها إلا من يسلمه الله تعالى، فالابتلاء سنة ماضية إلى يوم القيامة لذا يقول الله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة:١٥٥].

وقوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد: ٣١].

ولايستثنى أحد من التعرض للابتلاء مادام يتعامل ويخالط البشر، يقول النبى ﷺ: «**المؤمن الذي يخالط الناس، ويصبر على أذاهم خير من المؤمن الذى لايخالط الناس ولا يصبر على أذاهم**» [رواه الترمذى].

فعندما استشعر الإسكندر الوفاة وأحس بدنو أجله أراد أن يعزي أمه عن فقده بمواعظ فى كتابه لتصبر عن مصابه، فقال: يا أماه: إذ أنا مت فاصنعى طعاما فاخرا لذيذا

وشرابا حسنا حلوا واحضرى له كافة الناس وعامتهم وخاصتهم واعهدى ألا يحضره من نابته من الدهر نائبة ولامن أصابته من الزمان مصيبة ليكون مأتم الإسكندر خلاف مأتم الناس ويكون فى ذلك الذكر والصيت، فلما امتثلت وتفننت فى الطعام والشراب ألوانا شتى ودعت الناس وعهدت إليهم بما أمرها به فلم يأتها أحد فقالت: مابال الناس تخلفوا عنا؟

فقيل لها: أمرت ألا يحضره من أصابته مصيبة، وكل الناس أصابتهم المصائب، ونزلت بهم الكوارث ونابتهم النوائب.

ولأن الله خلق البشر متباينين فى طباعهم وسلوكهم وتوجهاتهم وقناعتهم، فلا تكاد تجد اثنين لهما نفس الصفات والطباع والسلوك، فمنهم من يميل إلى الفظاظة والرفض والشدة والقسوة، وربما الإضرار بالآخرين ومنهم من يكون رفيقا حنونا عطوفا، ولذا ينبغى التعامل مع كل فرد بطريقة تتناسب وطبيعته ونفسيته وأن نصبر على أذاهم.

عن ابن مسعود رضى الله عنه قال: لما كان يوم حنين آثر رسول الله ﷺ ناسا فى القسمة فأعطى الأقرع بن حابس مائة من الإبل، وأعطى عيينة بن حصن مثل ذلك، وأعطى ناسا من أشراف العرب وآثرهم يومئذ فى القسمة فقال رجل: والله إن هذه القسمة ماعدل فيها، وما أريد فيها وجه الله، فقلت: والله لأخبرن رسول الله ﷺ، فأتيته فأخبرته بما قال، فتغير وجهه حتى كان كالصرف ثم قال: «**فمن يعدل إذا لم يعدل الله ورسوله؟**» ثم قال: «**يرحم الله موسى قد أوذى بأكثر من هذا فصبر**».

لذا ينبغى للمرء أن يتحلى بالصبر الجميل، ويحتسب كل ذلك عند الله، يقول أبو العتاهية:

اصبر لكل مصيبة وتجلد ... واعلم أن المرء غير مخلد
أو ما ترى أن المصائب جمة ... وترى المنية للعباد بمرصد
من لم يصب ممن ترى ... هذا سبيل لست فيه بأوحد
فإذا ذكرت محمدا ومصابه ... فاذكر مصابك بالنبى محمد

ولكى ينال العبد إحدى جوائز السماء فعليه بالصبر على إساءة المسيئين، وجفوة الجافين، فمن أراد راحة البال وحسن العاقبة والمآل، فليصبر على ما يلقاه من الآخرين، أو ما يُبلى به من مصائب الدنيا، فإن ذلك من علو النفس وسمو الهمة.

إذا لم تسامح فى الأمور تعقدت ... عليك فسامح وأخرج العسر

فلم أر أوفى للبلاء من التقى ... ولم أر للمكروه أشفى من الصبر

فعن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول ﷺ: **تنصب الموازين يوم القيامة فيأتى بأهل الصلاة والصيام والزكاة والحج فيوفون أجورهم بالموازين ثم يؤتى بأهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان يصب عليهم الأجر بغير حساب،قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾** [الزمر: ١٠]. فالله جعل ثواب الصبر فوق كل ثواب.

ولقد جلى العارفون معنى الصبر فقالوا: **(هو حبس النفس عن السخط، وحبس اللسان عن الشكوى، وحبس الجوارح عن التشويش)**.

وعن صهيب رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله عجب، لا يقضي الله لمؤمن قضاءً إلا كان خيراً له، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له». [رواه مسلم].

والصبر مثل اسمه مر ... لكن عواقبه أحلى من العسل

فالإنسان المؤمن بربه، لاتحطمه النوازل والمحن، وإنما يتقبلها بصبر واحتساب ويتطلع إلى تعويض السماء له عما فقده خلال معركة الحياة، ويعين نفسه على تقبل حياته بعد ما شهدته من متغيرات، ويعيد تثمين ما أتيح له من عطايا الحياة ويتعزى بها عما فقد خلال الطريق ولا يسمح لحزنه على ما فقد بأن يسلبه القدرة على الإحساس بما أتيح له من نعم وعطايا، وإنما يلتمس العزاء والسلوى في هذه الجوانب الأخرى المضيئة في حياته، ويسعد بها رغم أحزانه الصادقة ويستمد منها القدرة على مواصلة الحياة والتغلب على الصعوبات والأحزان، وتحقيق آماله وآمال من يسعدون بسعادته ويشقون بشقائه من الأعزاء.

فالصبر..... الصبر..... الصبر هو الكنز الذى من ملكه فقد ملك ناصية كل خير،

والعين التى من وردها فهو المرتوى حقا.

قال الحسن ﷺ: الصبر كنز من كنوز الخير لايعطيه الله إلا لعبد كريم عنده.

فكان حريا بأهله أن يجنوا أعظم الثمرات يوم القيامة ويذوقوا عاقبة بركته فى الدنيا، فكم للصبر من فوائد وكم له من محاسن ومنازل ساميات.

وحسبك من الثمرات اليانعة واللآلى النفيسة التى يجنيها أهل الصبر:

أولا: الثمرة العظمى والحسنة الكبرى: الفوز بمعية الله تعالى

يقول الله تعالى: ﴿وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقر:١٥٣].

قال أبو على الدقاق: فاز الصابرون بعز الدارين لأنهم نالوا من الله معيته.

ثانيا: الصبر سبب فى مضاعفة الأجر

والبشارة فى قول الله عز وجل:﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[الزمر: ١٠].

ثالثا: الصبر سبب فى نيل محبة الله تعالى:

قال تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا اسْتَكَانُواْ وَاللّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦].

رابعا: الصبر سبب فى نيل الإمامة فى الدين:

يقول الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤].

قال الإمام ابن القيم: فبالصبر واليقين تنال الإمامة فى الدين.

خامسا: الصبر سبب فى تحصيل الفلاح:

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

سادسا: الصبر عون وعدة

قال الله تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٥]. فمن لاصبر له لا عون له

سابعا: جمع الله تعالى للصابرين ثلاثة أمور لم يجمعها لغيرهم

وهى: الصلاة منه عليهم، ورحمته لهم، وهدايته إياهم،

قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ۞ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ۞ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾

[البقرة: ١٥٥-١٥٧].

عزّى بعض السلف على مصيبة نالته فقال: مالى لا أصبر وقد وعدنى الله مع الصبر ثلاث خصال كل خصلة خير من الدنيا وما عليها.

ولنتذكر الجائزة التى نالتها أم المؤمنين أم سلمة حيث قالت:

سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول ما امره الله: إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم أجرني في مصيبتي واخلف لي خيرا منها إلا أخلف الله له خيرا منها**». قالت فلما مات أبو سلمة قلت أي المسلمين خير من أبي سلمة؟أول بيت هاجر إلى رسول ﷺ ثم إني قلتها فأخلف الله لي رسول الله فأرسل إلى رسول الله ﷺ حاطب بن أبي بلتعة يخطبني له فقلت: إن لي بنتا وأنا غيور فقال رسول الله ﷺ: **أما ابنتها فأدعو الله أن يغنيها عنها وأدعو الله أن يذهب بالغيرة**. فتزوجت رسول الله ﷺ.

ثامنا: سلام الملائكة على الصابرين فى الجنة بصبرهم

وقال تعالى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ۞ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٣-٢٤].

فيا أخى الحبيب: تلكم البضاعة الغالية، والسلعة النفيسة، فقد أبت نفوس الكرام إلا اقتنائها، فيا ترى أخى: أهى فى حرزك وملكك، أم أنك معدم منها؟

فإن كنت كذلك أخى فلا تترددن فى بذل النفيس والغالى لامتلاكها والفوز بها

الصبر يحمد فى المواطن كلها إلا عليه فإنه لا يحمد.

فعليك أخى الحبيب:

إذا أردت أن تفوز بجائزة

من السماء أن تصبر

على أذى الآخرين

قصر
فى الجنة

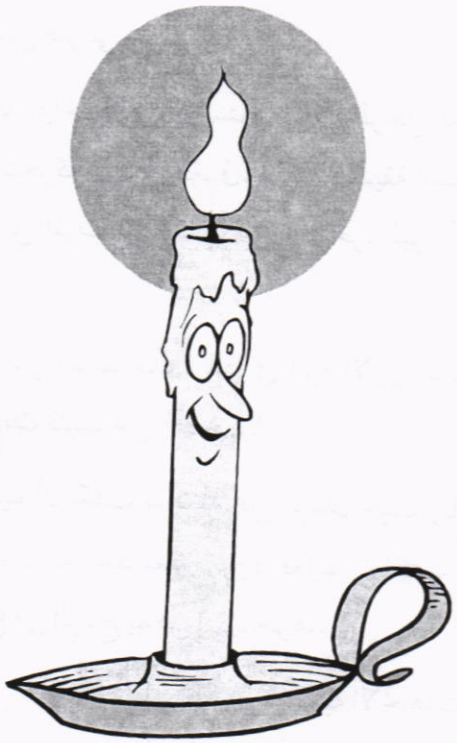

يخاطبنى السفيه بكل قبح

وآســف أن أكون له مجيبا

يزيد سفاهة وأزيد حلـما

كعـود زاده الإحراق طيبا

الشافعى

كان هناك صديقان يمشيان في الصحراء، خلال الرحلة تجادل الصديقان فضرب أحدهما الآخر على وجهه. فتألم الرجل الذي ضُرب على وجهه ولكنه لم ينطق بكلمة واحدة وكتب على الرمال: اليوم أعز أصدقائي ضربني على وجهي.

استمر الصديقان في مشيهما إلى أن وجدا واحة فقررا أن يستحما ولكن الرجل الذي ضُرب على وجهه علقت قدمه في الرمال المتحركة وبدأ في الغرق، ولكن صديقة أمسكه وأنقذه من الغرق. وبعد أن نجا الصديق من الموت قام وكتب على الصخر: اليوم أعز أصدقائي أنقذ حياتي.

الصديق الذي ضرب صديقه وأنقده من الموت سأله: لماذا في المرة الأولى عندما ضربتك كتبت على الرمال والآن عندما أنقذتك كتبت على الصخرة؟

فأجاب صديقه: عندما يؤذينا أحد علينا أن نكتب ما فعله على الرمال حيث رياح التسامح يمكن لها أن تمحوها، ولكن عندما يصنع أحد معنا معروفاً فعلينا أن نكتب ما فعل معنا على الصخر حيث لا يوجد أي نوع من الرياح يمكن أن يمحوها.

والمعاملات الإنسانية كثيرة ومتنوعة، بل متنامية ومتطورة، وهي متشعبة الاتجاهات، ولذلك لا تخلو يوميات الأفراد في المجتمع من التعامل المتبادل مع الآخرين، وهذه هي سنة الحياة وطبيعة الدنيا، غير أن هذه الحياة يتعكر صفوها ولا يمضي أهلها في تحقيق أهدافهم عندما تغيب أو تضعف الروح الإنسانية والأخلاق السامية والأذواق الرفيعة في المعاملات المتبادلة بين بني آدم، حيث يسود الغلو والعلو والغلظة والشدة والجفاف والنفور، بدل المعاملة السمحة التي رفع من شأنها الإسلام وجعلها من علامات الإيمان ومن دعائم الحياة الكريمة في المجتمع المسلم، مَن تحلى بها فقد نال حظا وافرا من الإيمان والتدين الصحيح، يقول ﷺ «**أفضل الإيمان الصبر والسماحة**». وإذا كان للتدين أشكال وصور تتجلى في سلوكيات الناس، فإن السماحة في المعاملة أعظم صورة يجب أن يكون عليها المسلم الغيور على دينه، فقد سئل النبي ﷺ: أي الأديان أحب إلى الله عز وجل قال: «**الحنيفية السمحة**». ومن العوج الذي أصاب تديّننا، أننا لا نرى التدين مهمّا في معاملة

بعضنا بعضا، ونكتفي بأشكال وطقوس نحاكم عليها الناس ونقيّمهم وننزهم بها، ومن لم ينقل تديننا إلى معاملاتنا في أسواقنا وملاعبنا ووسائل نقلنا ومقاعد دراستنا ومجالس مساجدنا وإداراتنا، فإن الدين المعاملة، يبقى في واد ونحن في واد آخر لا يلتقيان إلا تظاهرا ورياء ونفاقا اجتماعيا لا يرضاه لنا الحبيب المصطفى ﷺ، والذي دعا بالرحمة والنعمة للعبد السمح السهل، عندما ضرب مثلا للمعاملة الحسنة في أربعة أشياء فقال: «**رحم الله رجلا سمحا إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى**» وفي رواية «**وإذا قضى**».فهذه مواضع أربعة ذكرها الرسول ﷺ في سياق واحد. ونصوص القرآن والحديث كثيرة في الحث على السماحة في المعاملات مع الإنسان مسلما أو غير مسلم، حيا أو ميتا، بل وحتى مع عالم الحيوان.

والأخطاء فى حياة الكثير من الناس تدمي أقدامهم، وتطعن أبدانهم، وقد تمنعهم عن مواصلة المسير، فمن منا لايخطىء ولا يزل ولا يذنب؟ ومن منا لايسىء إلى الآخرين كل يوم؟

نخطىء مع زميل، أو نغضب مع زوج، أو نجور على صديق، أو نقسو على ولد، أو تبدو منا قطيعة لرحم، او أذى لجار.

يتعكر المزاج تارة، وتفلت الأعصاب تارة، ويسوء الفهم مرة، ويسبق الشيطان مرة، ويفلت اللسان فجأة، أو يضيق الصدر من هم أخر فنخطىء مع عزيز لايستحق ذلك.

وتتفاوت درجات الناس فى الثبات أمام المثيرات، فمنهم من تستخفه التوافه فيستحمق على عجل، ومنهم من تستفزه الشدائد فيبقى على وقعها الأليم محتفظا برجاحة فكره وعظيم خلقه، فالرجل العظيم حقا هو الذى اتسع صدره وامتد حلمه وعذر الناس من أنفسهم والتمس المبررات لأغلاطهم ولسان حاله يقول:

سألزم نفسى الصفح عن كل مذنب ... وإن كثرت منه علىَ الجرائم
وما الناس إلا واحد من ثلاثة ... شريف ومشروف ومثل مقاوم
فأما الذى فوقى فأعرف قدره ... وأتبع فيه الحق والحق لازم
وأما الذى دونى فإن قال صنت ... عن إجابته عرضى وإن لام لائم

وأما الذى مثلى فإن زلّ أو هفا تفضلت إن الفضل بالحلم حاكم

فإن الحلم والعفو خلقان كريمان بينهما علاقة وطيدة، إذا أن من يحلم مع الآخرين فإنه فى الغالب يعفو عن زلاتهم وعثراتهم.

والحلم هو كظم الغيظ دون تكلف أو عناء، حيث يستقبل الإنسان، عثرات الآخرين وزلاتهم ببرود أعصاب وعدم هيجان فلا يثور ولا يغضب.

وإن غضب فإنه يكتم غضبه دون تعب أو مشقة، روى الشيخان عن أنس رضى الله عنه قال: كنت أمشى مع رسول الله ﷺ وعليه برد نجرانى غليظ الحاشية فأدركه أعرابى، فجبذه جبذة شديدة، فنظرت إلى صفحة عاتقه ﷺ وقد أثرت فيه حاشية البرد من شدة جبذته ثم قال: يامحمد، مر لى من مال الله الذى عندك، فالتفت إليه، فضحك، ثم أمر له بعطاء.

فقد أراد النبى ﷺ أن يعلم أصحابه هذا الدرس فى الأناة وضبط النفس والتجاوز عن الإساءة.

* **فمن الناس** من لايسكت عن الإساءة إليه فهو فى ثورة دائمة وتغيظ يطبع على وجهه العبوس، إذا مسه أحد ارتعش كالمحموم، وأنشأ يرغي ويزبد، ويلعن ويطعن والإسلام برىء من هذه الصفات فقد قال رسول الله ﷺ: «**ليس المؤمن بطعان ولا لعان ولا فاحش ولا بذىء**».

فالواجب على المسلم أن يتخلق مع الناس بخلق العفو والتجاوز فإن الصدود وإضمار الانتقام وانتظار الرد بالمثل لن تنفك تزيد حرارة القلب حتى تدعه قلقا مضطربا، وكان صلوات الله عليه وسلامه يغرس فى نفوس المسلمين دوما خلق العفو والتسامح وإن قوبلوا بالصد والإعراض والقطيعة، إذ كان يدرك بثاقب نظرته التربوية التى زوده الله بها أن الناس يستجيبون بالخلق العالى السمح أكثر مما يستجيبون بالشدة والقطيعة والعنف ومن ثم كان من هديه القويم لعقبة من عامر حين قال:

يا رسول الله: أخبرنى بفواضل الأعمال: فقال: «**ياعقبة، صل من قطعك وأعط من**

حرمك واعف عمن ظلمك» [رواه أحمد والطبرانى].

فإن السيئة إذا قوبلت دائما بالسيئة أوغرت الصدر وأورثت الأحقاد وأنبتت الضغائن، أما إذا قوبلت السيئة بالحسنة أطفأت أود الغضب، وهدأت من فورة النفس، وغسلت أدران الضغينة، فإذا المتعاديان يصبحان صديقين حميمين بكلمة طيبة أو بسمة حانية من أحدهما، وصدق الله العظيم إذا يقول: ﴿**وَلاَ تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلاَ السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾ [فصلت: ٣٤].

وعاشر بمعروف وسامح من اعتدى وفارق ولكن بالتى هى أحسن

وكثير ما يسىء إلينا من نتعامل معهم من الأهل والأصحاب والجيران والخلان فما أجمل التعامل معهم بلغة القلوب وعطر الأخلاق، نحسن بذلك عرض ديننا ونزرع الألفة والمحبة بيننا، ونسمو بأنفسنا عن سفاسف الأمور وسوء الخلق والسلوك.

فكما قيل: أفضل دليل على حسن أدبك هو أن تحتمل سوء أدب الاخرين.

فقد مر المسيح ابن مريم عليه السلام بقوم من اليهود، فقالوا له شرا فقال لهم خيرا، فقيل له: إنهم يقولون شرا وأنت تقول خيرا؟ فقال: كل ينفق مما عنده.

وروي عن المامون أنه نادى على خادمه فلم يجبه! ثم نادى ثانيا وصاح: أيا غلام، فدخل غلام تركى يقول: أما ينبغى للغلام أن يأكل ويشرب؟ كلما خرجت من عندك، صحت يا غلام يا غلام؟! فنكس المامون رأسه، فما شك أحد أنه سيأمر بضرب عنق الغلام، ولكنه قال: إن الرجل إذا حسنت أخلاقه ساءت أخلاق خدمه، وإذا ساءت أخلاقه حسنت أخلاق خدمه، وإنا لا نستطيع أن نسىء أخلاقنا لنحسن أخلاق خدمنا.

ففى تعاملنا مع الناس لا بد أن نتميز بالحلم لأننا سنتعامل مع بشر يصيبون ويخطئون، وأنهم نفسيات مختلفة وشخصيات متباينة روى الإمام الترمذى: أن النبى ﷺ خطب فى الناس عصر يوم من الأيام فكان مما قاله لهم:

إن بنى آدم خلقوا على طبقات شتى:ألا وإن منهم البطىء الغضب سريع الفيء، والسريع الغضب سريع الفيء، والبطيء الغضب بطيء الفيء، فتلك بتلك ألا وخيرهم

بطيء الغضب سريع الفيء وشرهم سريع الغضب بطيء الفيء.

وهؤلاء يخطئون معنا ويرتكبون حماقات أو لنقل سيرتكبون تجاوزات تجاهانا، وقد يحفزنا ذلك إلى طلب الانتصار لأنفسنا ولكن تذكرنا انتفاء العصمة عن جملة البشر تسرع بنا إلى الإبطاء والتريث وكما يقول الشاعر:

سامح أخاك إذا خلط ... منه الإصابة بالغلط
وتجاف عن تعنيفه ... إن زاغ يوما أو قسط
من ذا الذى ماساء قط ... ومن له الحسنى فقط

لا أحد.. لا أحد.. لا أحد

ويقول آخر:

سامح صديقك إن زلت به قدم ... فليس سليم إنسان من الزلل

ويقول آخر:

تريد مهذبا لاعيب فيه ... وهل عود يفوح بلا دخان

* **ومن أصناف الناس** الذين تتعامل معهم من لاهم لهم إلا تتبع زلات الناس وتصيد أخطائهم والصيد فى الماء العكر، فهو كالذبابة لايقع إلا على القاذورات، وهذا الفعل ليس من شيم الكرام وإنما من فعل اللئام وقد حذر الصحابى الجليل عبد الله بن مسعود من هذا الأمر فقال: إن أحدكم يبصر القذاة فى عين أخيه وينسى الجذع فى عينه.

وفى هذا يقول الإمام الشافعى رحمه الله:

إذا شئت أن تحيا سليما من ... وحظك موفور وعرضك صين
لسانك لا تذكر به عورة امرىء ... فكلك عورات وللناس أعين
وعينك إن أبدت إليك مساويا ... فصنها وقل يا عين للناس أعين
وعاشر بمعروف وسامح من ... وفارق ولكن بالتى هى أحسن

وقد ورد عن زيد العابدين بن الحسين رحمه الله أن رجلا نال منه يوما فجعل يتغافل

عنه، يريه أنه لم يسمعه، فقال له الرجل: إياك أعنى فرد عليه، وقال: وعنك أغضى.

وقال آخر:

إذا نطق السفيه فلا تجبه ... فخير من إجابته السكوت

فإن كلمته فرجت عنه ... وإن خليته كمدا يموت

* **ومن أصناف الناس** من يكون جل همه أن يغتاب الآخرين فيذكرهم بما يكرهونه لو بلغهم، سواء ذكرهم بنقص فى بدنه أو نسبه، أو خلقه، أو فعله، أو قوله، أو دينه، أو دنياه، أو ثوبه، أو داره، أو دابته.

فعلى الفرد ألا يأبه لما يقال ولا يحزن له فلو لم يكن من أجود الثمار لما عنى النمامون والمغتابون باغتيابه أو الحديث عنه أو الادعاء عليه، والمهم هو أن يكون الإنسان راضيا عن نفسه وعما يفعل وعن اختياره لطريقه والتزامه الخلقى والدينى فى الحياة.

وللفيلسوف الإنجليزى بيكون كلمة جميلة يقول فيها: يغتاب النمام أفضل الناس كما تنقر العصافير دائما أجود الثمر.

وقيل:

كن كالنخيل عن الأحقاد مرتفعا ... يرمى بحجر فيرمى أطيب الثمر

وقيل: نقائص العظماء هى عزاء التافهين. أى عزاؤهم عن تفاهة شأنهم وفشلهم وإحباطهم وأحقادهم على الناجحين.

* **ومن أصناف الناس** من يكون ذا وجهين أو ذا لسانين حيث يقابلك بوجه طليق، ويعطيك لسانا حلوا، ثم تدبر عنه فيطعنك فى ظهرك ويتكلم عليك كلاما قبيحا.

فهو يلعب على جميع الحبال، فهو كالحرباء يتلون فى معاملته مع الآخرين فيخاطب هؤلاء بلغة أخرى ولا يكون صادقا ولا مخلصا ولا نقي السريرة فى معاملته هذه، وإنما هدفه المصلحة الذاتية لذا يلجأ إلى الخداع والمراوغة وهؤلاء:

لا خير فى ود امرىء متلون ... حلو اللسان وقلبه يتلهب

يلقـاك يقسـم أنـه بـك واثـق ... وإذا تـوارى عنـك فهـو العقـرب
يعطيك من طرف اللسان حلاوة ... ويـروغ منـك كـما يـروغ الثعلـب

وقد بين لنا الإمام الشافعى طريقة التعامل مع هؤلاء فقال:

وإذا المـرء لا يلقـاك إلا تكلفـا ... فدعـه ولا تكثـر عليـه التأسـفا
ففى الناس أبدال وفى التَّرْك راحة ... وفى القلب صفو للحبيب ولـو جفـا

* **ومن أصناف الناس** من تكون هوايته اللوم والعتاب، إذ تراهم يبالغون فيهما ويتلذذون بهما، بل ربما يعتبرون ذلك دليلا على الصداقة والمحبة، والحقيقة أن اللوم وإن كان مؤدبا وغير قاس أمر غير محبب لدى النفس البشرية.

لأن العتاب لايحل مشكلة ولا يوطد علاقة ولا يرجع فائتا، ومن كان هذا شأنه فالخير فى تركه.

قال السمرقندى: كنت مع الخليفة المعتضد فى رحلة صيد وقد انقطع عنا العسكر، وفجأة خرج علينا أسد، فقال الخليفة: أفيك شجاعة؟ قلت: لا، قال: ولا أن تمسك فرسى وأنزل أنا؟ قلت: بلى، فنزل عن فرسه واستل سيفه فوثب على الأسد وعاجله بضربة أطارت يده ثم ضربه ثانية على هامته ففلقها وخر الأسد صريعا، ثم ركب فرسه وذهبنا إلى العسكر وقد كنت بصحبته دائما فما سمعته ذكر ذلك لأحد فما أدرى من أى من شىء أتعجب؟ من شجاعته! أم من شهامته وعدم ذكر ذلك لأحد! أم من عدم عتابه علىّ حيث جبنت أمامه فوالله ما عاتبنى فى ذلك قط حتى مات.

وقد ورد أن صديقا للزاهد ابن السماك واعظ هارون الرشيد قال له ذات يوم:

الميعاد بينى وبينك غدا نتعاتب، فقال له ابن السماك رحمه الله: بل بينى وبينك غدا لنتغافر.

إنه جواب يجمع بمجامع القلوب،إذا كانت هناك قلوب تعى ذلك، إذ ما فائدة التعاتب المكفهر بين الإخوة والأحباب، أليس التغافر والتسامح والعفو أولى وأطهر للقلوب؟

مـــن اليـــوم تعارفنـــا ونطـــوى مـــا جـــرى منـــا
فـــلا كـــان ولا صـــار ولا قلـــــتم ولا قلنـــــا
وإن كـــــان ولابـــــد مـــن العتـــب فبالحســـنى

ويقول آخر مخاطبًا إخوة له طالبا منهم الصفح والعفو عما كان:

تعالوا بنا نطوى الحديث الذى جرى ولا سمع الواشى بذلك ولا درى
تعـالوا بنـا حتـى نعـود إلى الرضـا وحتـى كـان العهـد لم يتغـيرا
لقد طال شرح القال والقيل بيننا ومـا طـال ذاك الشرح إلا لـيقصرا
مـن اليـوم تـاريخ المحبـة بيننـا عفا الله عن ذاك العتاب الذى جرى

ويقول آخر مؤكدا هذا المعنى:

تعـالوا نخـل العتـب عنـا ونصـطلح وعودوا بنا للوصل والعود أحمد
ولا تخدشـوا بالعتـب وجـه محبـة لـه بهجـة أنوارهـا تتوقـد

وكل هؤلاء وغيرهم ممن يقابلوننا فى حياتنا فيجهلون علينا أو يخطئون فى حقنا، يجب أن يكون سلوكنا تجاههم كما قال الشاعر:

إذا جرحـت مسـاوئهم فـؤادى صـبرت عـلى الإسـاءة وانطويـت
وجئـت إلـيهم طلـق المحيـا كـانى لا سـمعت ولا رأيـت

فعلينا أن نقبل اعتذار من جاء إلينا معتذرا ولا يليق بنا أن نرد هذا الاعتذار، ولاسيما إذا حضر المعتذر إلى بيتنا أو مجلسنا أو مقر عملنا أو شفع له بعض الكرام من أهل العلم والدين والمروءة والوجاهة وكبار السن.

إن أصعب شىء على نفوس الناس أن يتوقعوا الخير أو يرجوه من إنسان ثم يفاجئهم بخلاف ذلك، فتنكسر قلوبهم، وتسود الدنيا أمامهم.

ولقد ختم الإمام أحمد أبن حنبل رحمه الله حياته بالعفو عن الجلاد الذى ألهب

بالسياط ظهره، وذلك عندما سمع الناس صائحا ينادى خارج المنزل ويقول: يا أحمد، يا أحمد، فأوسعوا له حين استدعاه الإمام أحمد، فإذا هو شيخ كبير ينشج نشيج النساء فى لوعة وحرقة ويقول:

لقد كنت ممن قام بتعذيبك فى عهد المعتصم وإنى لأرجو المعذرة، فيهز الموقف الإمام أحمد، وينسيه سكرات الموت، فيلتفت إلى الشيخ مخففا عنه مستغفرا له عما اقترفت يداه، وهنا سأله ابنه عمن آذاه ن ولماذا يستغفر لهم؟ فقال الإمام أحمد: يابنى وليعفوا وليصفحوا، ماذا ينفعك أن يعذب أخوك بسببك؟، وقد قال الله تعالى: ﴿**فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ**﴾ فإذا كانت القيامة، وجثت الأمم بين يدى الله رب العالمين، نودوا ليقم من كان أجره على الله، فلا يقوم إلا من عفا فى الدنيا وإنى لأرجو أن أكون واحدا منهم.

وروى أن الإمام الشافعى قال: من استغضب فلم يغضب فهو حمار، ومن استرضى فلم يرض فهو شيطان.

ويقول الشاعر:

أقبل معاذير من يأتيك معتذرا ... إن برّ عندك فيما قال أو فجرا

فقد أطاعك من يرضيك ظاهره ... وقد أجلك من يعصيك مستترا

فإن تخلقت بهذه الأخلاق وتحليت بتلك الصفات كنت من الفائزين بجوائز السماء التى أعدها الله لمن عفا وصفح عمن جهل عليه، فها هو النبى ﷺ يبشرنا بذلك، فعن عبادة بن الصامت: قال رسول الله ﷺ: «**ألا أنبئكم بما يشرف الله به البنيان ويرفع الدرجات؟** قالوا: نعم يارسول الله، قال: **تحلم على من جهل عليك وتعفوا عمن ظلمك، وتعطى من حرمك وتصل من قطعك**» [رواه الطبرانى].

وعن ابن عمر رضى الله عنهما عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه أنه قال: بلغنا أن الله تعالى يأمر مناديا يوم القيامة فينادي: من كان له عند الله شىء فليقم: فيقوم أهل العفو فيكافئهم الله بما كان من عفوهم عن الناس.

وفى الحديث الشريف عن رسول الله ﷺ أنه قال:

«إذا جمع الله الخلائق يوم القيامة نادى مناد: أين أهل الفضل؟ فيقوم أناس وهم يسير، فينطلقون سراعا إلى الجنة فتتلقاهم الملائكة فيقولون لهم: ماكان فضلكم؟ فيقولون: كنا إذا ظلمنا صبرنا، وإذا أسيء إلينا غفرنا، وإذا جهل علينا حلمنا، فيقال لهم: ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين» [رواه الأصبهانى].

فيا أخى الحبيب:

إن ضاق عليك مسكنك فى الدنيا، وإن رأيت غيرك يعيش فى ناطحات السحاب وقصور شامخات لا تحزن ولا تبتئس، فقد وعدك الله بخير من ذلك، وعدك بمدائن من فضة وقصور من ذهب مكللة باللؤلؤ وذلك إن كنت من العافين عمن ظلمك المسامحين للآخرين.

فعن أنس رضى الله عنه قال: بينما رسول الله ﷺ إذ ضحك حتى بدت ثناياه فقال عمر رضى الله عنه: يا رسول الله، بأبى أنت وأمى ما لذى أضحك؟

قال: رجلان من أمتى جثيا بين يدى رب العزة، فقال أحدهما: يارب خذ لى مظلمتى من هذا، فقال الله تعالى، رد على أخيك مظلمته.

فقال: يارب لم يبق لى من حسناتى شيء، فقال: الله تعالى للطالب، كيف تصنع بأخيك ولم يبق من حسناته شيء؟ فقال: يا رب فليحمل عنى من أوزارى، ثم أفاضت عينا رسول الله ﷺ بالبكاء، فقال: إن ذلك ليوم عظيم يوم يحتاج الناس فيه أن يحمل عنهم من أوزارهم قال:

فيقول: الله تعالى للمتظلم:

ارفع بصرك فانظر فى الجنان، فقال: يا رب، أرى مدائن من فضة وقصورًا من ذهب

مكللة باللؤلؤ لأى نبى هذا أو لأى صديق أو شهيد؟ قال الله تعالى: هذا لمن أعطى الثمن!! قال: يا رب ومن يملك ذلك؟ قال: أنت تملكه، فقال: ماذا يا رب؟ قال: بعفوك عن أخيك، قال: يا رب قد عفوت عنه فيقول الله تعالى: خذ بيد أخيك فادخلا الجنة.

فعليك أخى الحبيب:

فإذا أردت أن تفوز بجائزة

من جوائز السماء أن تسامح الآخرين

وتعفوا عمن ظلمك

سلم إلى السماء

تواضع تكن كالنجم لاح لناظر

على صفحات الماء وهو رفيع

ولاتك كالدخـــان يعلو بذاته

إلى طبقات الجو وهو وضيع

أتى وفد المسلمين وفيهم أنس بن مالك والأحنف بن قيس ومعهم الهرمزان ومعهم الخمس من الغنائم فدخلوا فتيمموا منزل أمير المؤمنين عمر فلم يروا أحدًا فرجعوا، فإذا غلمان يلعبون فسألوهم عنه فقالوا إنه نائم في المسجد متوسدا برنسا له، فرجعوا إلى المسجد فإذا هو متوسد برنسا له كان قد لبسه للوفد فلما انصرفوا عنه توسد البرنس ونام وليس في المسجد غيره والدرة معلقة في يده، فقال الهرمزان: أين عمر؟ فقالوا: هو ذا وجعل الناس يخفضون أصواتهم لئلا ينبهوه وجعل الهرمزان يقول: وأين حجابه وأين حرسه. فقالوا: ليس له حجاب ولا حرس ولا كاتب ولا ديوان. فقال: ينبغي أن يكون نبيا، فقالوا بل يعمل عمل الأنبياء.

ويصف حافظ إبراهيم الموقف قائلا:

وراع صاحب كسرى أن رأى عمرا ... بين الرعية عطلا وهو راعيها
وعهده بملوك الفرس أن لها سورا ... من الجند والأحراس يحميها
رآه مستغرقا في نومه فرأى ... فيه الجلالة في أسمى معانيها
فوق الثرى تحت ظل الدوح مشتملا ... ببردة كاد طول العهد يبليها
فهان في عينه ما كان يكبره ... وأصبح الأكاسر والدنيا بأيديها
وقال قولة حق أصبحت مثلا ... وأصبح الجيل بعد الجيل يرويها
أمنت لما أقمت العدل بينهم ... فنمت نوم قرير العين هانيها

فمن أهم العوامل للنجاح الاجتماعي هو التواضع للناس، فالمتواضع يحوز على حب الآخرين له، وعلى تقدير واحترام الجميع، لأن من يحترم الآخرين يحترمونه ومن يقدرهم يقدرونه.

والتواضع صفة حميدة يجب أن يتحلى بها المسلم لأنها تعبر عن علو النفس وسموها ورفعتها فكما قيل:

ينال الفتى بالعلم كل فضيلة ... ويعلو مقاما بالتواضع والأدب

وقد حث القرآن الكريم المؤمنين على التواضع، وبالرغم من أن كلمة التواضع لم ترد

بلفظها ولكن وردت كلمات تشير إليها وتدل عليها.

فقد قال الله تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكافِرِينَ﴾ [المائدة ٥٤].

وقال: ﴿وَ اخْفِضْ لَهُما جَناحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ [الإسراء: ٢٤].

﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء:٢١٥]

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاما﴾ [الفرقان: ٦٣].

وهذه الآية تقرر مبدأ مهمًا وهو أن التواضع سمة من سمات عباد الرحمن فهم يمشون على الأرض هونا، مشية سهلة هينة ليس فيها تكلف ولاتصنع وليس فيها خيلاء، فهم يمشون فى سكينة ووقار وتواضع غير مرحين ولا متكبرين، فقد نهانا الله تعالى عن التجبر والتبختر.

﴿وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً﴾

[لقمان: ٣٧].

﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾

[لقمان: ١٨].

وهذه الوصية التى وصى بها لقمان ولده ﴿وَلاَ تُصَعِّرْ خَدَّكَ﴾.

فالصعراء مرض يصيب الخيل فيلوى أعناقها، والتعبير القرآنى اختار هذه الحركة المشابهة للصعر حركة الكبر وإمالة الخد للناس فى تعال واستكبار. ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ﴾ والمشى فى الأرض مرحا هو المشى فى تخايل ونفخة وقلة مبالاة بالناس، وهى حركة كريهة يمقتها الله ورسوله ويمقتها الخلق وهى تعبير عن شعور مريض بالذات يتنفس فى مشية الخيلاء! فالمتكبر ضعيف (يخفي ضعفه وراء انتفاشه الفارغ) وتافه (يريد أن يخفي تفهه على الناس باصطناع العظمة) وليست له رهبة ولا يخافه حتى الجبناء لأنهم

يعرفون أن "عظمة الظاهر" تستر تحتها الهزال والضعف والانهزامية.. وكما قيل:

تواضع إذا ما نلت فى الناس رفعة فإن رفيع القوم من يتواضع

فالتواضع من أهم عناصر النجاح الاجتماعى حيث يقول حكيم صينى:

الرجل العاقل إذا أراد أن يعلو على الناس وضع نفسه أسفلهم، وإذا شاء أن يتصورهم جعل نفسه خلفهم، ألا ترى إلى البحار والأنهار كيف تتلقى الجزية من مئات الترع والجداول التى تعلوها.

فلا أحد من الناس يحب ذلك الإنسان المتبختر بنفسه المغرور بذاته، المتكبر على أقرانه المتجبر فى مشيه وكلامه، ولن يعترف بكبريائه أحد ولن يذعن لاستعلائه مخلوق قط، فشيمة التواضع يجب ان يتصف بها كل إنسان خاصة من كان يتصدى للخدمة العامة.

أتعرف أكثر ما ينفر الناس من المرء؟ إنه تعاليه على من يتعامل معهم؟

قد يحتمل الإنسان الكثير من نقائص أخيه الإنسان ولكنه لا يستطيع أن يتجاوز عن تعالى المتكبر، وقد يعلن عن استيائه منه فى حينه، وقد يكتم شعوره، إما عن خوف، أو رهبة، أو حاجة، أو استعلاء، ثم إذا وجد الفرصة لينفس عن شعوره المكبوت تراه يكيل الصاع للمتكبر صاعين والنتيجة دائما النفور والبغضاء.

فبعض من الناس الذين نتعامل معهم يصدق فيهم قول الشاعر:

إن فى الناس أوجها لامعات تملأ العين زهرة ورواء
ويراها البصير صورة زهر لم تهبها الحياة عطرا وماء

فكثير من هؤلاء إذا تحدث أو كتب ربط الأحداث به وبشخصه وعدد فضائل أياديه البيضاء وعلى الكون والأحياء، وأن الأقدار أرسلته لإنقاذ الكون مما ينتظره من دمار وهلاك وفناء ولكنه لم يعط حقه ولم يقدر قدره.

وهذه أفة قديمة وصفها الأديب الفرنسى (أناتول فرانس) فى حكمة طريفة فقال:

كل كائن حى ولو كان جروا صغيرا يتوهم أنه مركز الكون ومحور العالم.

وبالمثل رأينا قاطع طريق مثل عروة بن الورد يرى أنه:

أليس عظيما أن تلم ملمة وليس علينا فى الحقوق معول

إنه الشعور بالذات والإحساس بالأنا والاغترار بما يملك وهذا الذى دعا طرفة بن العبد لأن يقول:

لو كان فى الألف منا واحد فدعوا من فارس؟ خالهم إياه يعنونا

وإنك ترى الواحد من هؤلاء يمشى وأنفه فى السماء، وآخر إذا أخذ مجلسه وراء مكتبه تلبسه الشيطان، فظن بنفسه أنه لا يوجد فى الكون غيره، وآخر يكتب عدة مقالات فيحسب نفسه من قادة الفكر، أو تراه يحسن بضعة أعمال فيزعم أنه من عمالقة ساسة العالم، أو يدلى بعضهم بأحاديث فإذا استمعت إليهم وجدت حديثهم خواء كصوت الطبل الأجوف لا قيمة له ولا معنى، وما يدل إلا على سذاجة وسطحية قائله.

ولقد نبهنا الحكيم لقمان فى حكمة بليغة رائعة حذرنا فيها من الاغترار بالمظهر البراق المخادع دون الالتفات للجوهر.

وذلك يوم جلس عند حقل قمح فرأى سنابل قائمة وأخرى منحنية فتحسس هذه وتلك، فإذا بالقائمة فارغة من الحب والأخرى مليئة فيطلق حكمة من حكمه قائلا: كم من أناس يشمخون بأنوفهم وهم فارغون وكم من أناس أحنتهم المعرفة.

ملأى السنابل تنحنى بتواضع والفارغات رؤوسهن شوامخ

وكما قيل: العربة الفارغة أكثر جلبة من الممتلئة.

والناس ينفضون من حول هؤلاء فلا يجدون لهم صديقا ولا أنيسا فالنفس البشرية لاترتاح إلى من يزهو بنفسه كالطاووس وقد قال رسول الله ﷺ: «**إن الله أوحى إلىّ أن تواضعوا حتى لايفتخر أحد على أحد ولايبغى أحد على أحد**» [رواه مسلم].

وضرب لنا النبى ﷺ بتواضعه نموذجا وقدوة يحتذى بها؛ فكان النبى ﷺ يمر على

الصبيان فيسلم عليهم، والأمة تأخذ بيده ﷺ فتنطلق به حيث شاءت، ويكون فى بيته فى خدمة أهله، ولاينتقم لنفسه قط، ويأكل مع خدمه، ويجالس المساكين، ويمشى مع الأرملة واليتيم فى حاجتهما، ويبدأ بالسلام، ويجيب دعوة من دعاه ولو إلى أيسر شىء، وكان هين لين الخلق كريم الطبع جميل المعاشرة طلق الوجه، بساما، متواضعا من غير ذلة، رقيق القلب رحيما بكل مسلم خافض الجناح للمؤمنين لين الجانب لهم.

وليس لنا أن نبلغ من التواضع مابلغه الرسول الكريم، فقد أدبه ربه فأحسن تأديبه، ولكننا نستطيع أن نجعل سلوكه مثلا أعلى نطمع فى الاقتراب منه.

يحدثنا المصطفى عن الكبر والخيلاء حتى لندرك أنهما مجمع فساد النفس فيقول ﷺ: «**لايدخل الجنة من فى قلبه مثقال ذرة من كبر**» [رواه مسلم].

ويقول: «**بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم**» [رواه مسلم].

ووبخ ﷺ أبا ذر عندما وجده يتطاول على أخ له مسلم بقوله: «**يا أبا ذر إنك امرؤ فيك جاهلية، هم أخوانكم**» [رواه مسلم].

وينذرنا بعاقبة الكبر بقوله: «**بينما رجل يمشى وقد أعجبته جمته وبرداه إذ خسف الله به الأرض فهو يتجلجل فى الأرض حتى تقوم الساعة**» [رواه مسلم].

وهلاك المتكبر فى الدنيا ماثل لأعيننا، فمن حوله ينفض الأصحاب ويتفرق الأحباب، ويكثر الأعداء حتى ولو بعد حين، ولكن مصيبته فى الآخرة أكبر فهو عند الله من المنبوذين، وعلى وعد من الله ووعيد فى قرآنه المجيد، يقول الله تعالى: ﴿**إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ**﴾ [النحل: ٢٣].

ويقول: ﴿**سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ**﴾ [الأعراف: ١٤٦]. وإذا صرف الله عبده عن آياته، بعد أن تغشاه الكبر فغشى بصره وسمعه ووجدانه فهل له من منجاة؟

فيا أيها المتواضع إنما أنت كأرض انحدرت أركانها فأمسكت الماء فنفع الله بها الخلق، ويا أيها المتكبر إنما أنت كأرض عالية مستوية فيخلط عظمة المنزلة بعظمة التواضع ليخرج

منها ذلك النموذج الفريد، رجل أخذ المجد بجميع أطرافه وقال للثريا: أنى لك أن تدركينى؟

و كن أرضا لينبت فيك ورد فإن الورد منبته التراب

دخل ابن السماك على هارون الرشيد فقال: يا أمير المؤمنين والله لتواضعك فى شرفك أشرف لك من شرفك! فقال هارون الرشيد: ما أحسن ما قلت.

فقال: يا أمير المؤمنين إن امرءًا آتاه الله عز وجل جمالا فى خلقه، وموضعا فى حسبه، وتبسط له فى ذات يده، فعف فى جماله، وواسى فى ماله، وتواضع فى حسبه كتب فى ديوان الله عز وجل من خالص الله عز وجل.

فلا أسعد من رجل جعل شعاره التواضع، ولا أشرف من رجل جعل شرفه التواضع

قال ذو النون رحمه الله: علامة السعادة ثلاث: متى مازيد فى عمره نقص من حرصه، ومتى ما زيد فى ماله زيد فى سخائه، ومتى ما زيد فى قدره زيد فى تواضعه.

ويروى أن عمر بن العزيز أتاه ليلة ضيف، وكان يكتب، فكاد السراج يطفأ، فقال الضيف: أقوم إلى المصباح فأصلحه؟ فقال عمر: ليس من كرم الرجل أن يستخدم ضيفه، فقال الضيف: إذا أنبه الغلام؟ فقال عمر: أنها أول نومه نامها فلا تنبهه، ثم ذهب عمر وملأ المصباح زيتا، فقال له الضيف: قمت أنت بنفسك يا أمير المؤمنين؟ فأجاب عمر قائلا: ذهبت وأنا عمر، ورجعت وأنا عمر، وما نقص منى شىء، وخير الناس من كان عند الله متواضعا.

هذا هو التواضع دأب الأنبياء، وشرف الصلحاء، وسؤدد الشرفاء، وغاية الحكماء.

التواضع عنوان للشرف، ومنزلة رفيعة، ومن بلغها فهو المسود حقا، واستحق لقب الشرف صدقا، ومن ترفع عنها وتكبر فهو الوضيع، والمنزوع عنه لباس الشرف والسؤدد.

قال رسول الله ﷺ: «**ما من آدمى إلا فى رأسه حكمه** (كاللجام للفرس) **بيد ملك فإذا**

تواضع قيل للملك ارفع حكمته، وإذا تكبر قيل للملك ضع حكمته» [رواه الطبرانى].

وقال ﷺ: «**مانقصت صدقة من مال، ومازاد الله عبدا بعفو إلا عزا وماتواضع أحد لله إلا رفعه الله**» [رواه مسلم].

ومن العلماء من يقول: إن الرفع في الدنيا، وتكون بأن يرفع الله شأن الشخص في قلوب الناس ومنهم من يقول: إن الرفع في الاخرة.

إذا شِئْتَ أن تَزْدَادَ قَدْرًا ورِفْعَةً فَلِنْ وتواضعْ واتْرُكِ الْكِبْرَ والْعُجْبَا

وقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه: وجدنا الكرم فى التقوى، والغنى فى اليقين، والشرف فى التواضع.

فعليك أخى الحبيب إن أردت أن تكون من المتواضعين:

- أن تلقى السلام على كل من تمر عليه، سواء صغيرا أو كبيرا.
- أن تبتسم دائما فى وجه كل من تلقاه.
- أن تعطى الصدقة للفقير بحيث تكون يدك تحت يده.
- أن تسامح كل من يعتذر إليك حتى ولو أخطأ فيك.

فإن فعلت ذلك فزت بجائزة من السماء وهى أعظم جائزة: أن يرفعك الله يوم القيامة جزاء وفاقا، فأكرم بخصلة تكون سببا فى رفع صاحبها فى يوم يخفض الله فيه كثيرين ويقول جعفر الصادق: أحب الخلق إلى الله المتواضعون.

فعليك أخى الحبيب:

إذا أردت أن تفوز بجائزة
من جوائز السماء أن تكون متواضعا

صفاء القلوب
وسكينة النفس

رأيت الدنيا لمن هى فى يديه

هموما كلما كثرت لديه

تهـــين المكرمين لها بصغر

وتكرم كل مـن هانت عليه

إذا استغنيت عن شىء فدعه

وخـذ ما أنـت محتاج إليه

في حجرة صغيرة فوق سطح أحد المنازل عاشت الأرملة الفقيرة مع طفلها الصغير حياة متواضعة في ظروف صعبة، لكن أكثر ما كان يزعج الأم هو سقوط الأمطار في فصل الشتاء.

فالغرفة عبارة عن أربعة جدران، وبها باب خشبي، غير أنه ليس لها سقف! وكان قد مر على الطفل أربعة سنوات منذ ولادته لم تتعرض المدينة خلالها إلا لزخات قليلة وضعيفه، إلا أنه ذات يوم تجمعت الغيوم وامتلأت سماء المدينة بالسحب الداكنة ومع ساعات الليل الأولى هطل المطر بغزارة على المدينة كلها، فاحتمى الجميع في منازلهم، أما الأرملة والطفل فكان عليهم مواجهة موقف عصيب!!

نظر الطفل إلى أمه نظرة حائرة واندسّ في أحضانها، لكن جسد الأم مع ثيابها كان غارقًا في البلل. أسرعت الأم إلى باب الغرفة فخلعته ووضعته مائلاً على أحد الجدران، وخبأت طفلها خلف الباب لتحجب عنه سيل المطر المنهمر، فنظر الطفل إلى أمه في سعادة بريئة وقد علت على وجهه ابتسامة الرضا، وقال لأمه: ماذا يا ترى يفعل الناس الفقراء الذين ليس عندهم باب حين يسقط عليهم المطر؟!! لقد أحس الصغير في هذه اللحظة أنه ينتمي إلى طبقة الأثرياء.

ففي بيتهم باب!!!!

فما أجمل الرضا والقناعة.. إنهما مصدر السعادة وهدوء البال، والوقاية من أمراض المرارة ووالكره والحقد والحرص والطمع والنظر إلى ماعند الآخرين والتى ابتلى بهم كثير من الناس.فما خلى جسد من حسد، ولكن الكريم يخفيه، واللئيم يبديه.

فعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى لهما ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب**» [رواه البخارى].

وعن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يهرم ابن آدم ويشيب معه اثنتان الأمل وحب المال**».

ويقول الشاعر:

من كانت الدنيا مناه وهمه سَبَتْه المنى واستعبدته المطامع

لأن كثيرا من الناس يرخصون أنفسهم بسبب جريهم وراء رضا من استغنى عنهم، أو طلبهم محبة من ترفع عليهم، أو لهثهم خلف شيء مما فى أيدى من استعلى عليهم، فتكون النتيجة ذلا وهوانا وربما خسارة وبوارا، فلا هم حفظوا كرامتهم، ولا هم حصلوا على مبتغاهم.

لأن هذا الخلق- الطمع والنظر إلى ماعند الآخرين - يورث المهانة والذل والهوان لذلك حث الإسلام على التخلص منه، وذلك بالقناعة والاستغناء عما فى أيدى الناس.

عن أبي العباس سَهل بن سَعْد الساعدي ﷺ قال: «جاء رجلٌ إلى النَّبيِّ ﷺ، فقال: يا رسول الله! دُلَّني على عمل إذا عملته أحبَّني الله وأحبَّني الناسُ، فقال: «**ازهد في الدنيا يُحبّك الله، وازهد فيما عند الناس يُحبّك الناس**» حديث حسن، رواه ابن ماجه وغيره بأسانيد حسنة.

وقال رسول الله ﷺ: «**طوبى لمن هدى للإسلام، وكان عيشه كفافا وقنع به**».

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ليس الغنى عن كثرة العرض، إنما الغنى غنى النفس**».

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه: إن الطمع فقر، وإن اليأس غنى، وإنه من ييأس عما فى أيدى الناس استغنى عنهم.

وقيل لبعض الحكماء: ماالغنى؟ قال: قلة تمنيك ورضاك بما يكفيك.

وفى ذلك يقول الشاعر:

العيش ساعات تمر وخطوب أيام تكر

اقنع بعيشك ترضه واترك هواك تعش حر

فلرب حتف ساقه ذهب ويا قوت ودر

وروي أن موسى عليه السلام سأل ربه تعالى فقال: (أي عبادك أغنى؟ قال:أقنعهم بما أعطيته.. فقال فأيهم أعدل؟ فقال: من أنصف نفسه من نفسه) وقال ابن مسعود إن رسول الله ﷺ قال: «**إن روح القدس نفث في روعي أن نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب**» وقال: «كن ورعا تكن أعبد الناس وكن قنعا تكن أشكر الناس وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمنا» وجاء رجل الى النبي ﷺ فقال له: عظني وأوجز فقال: «**إذا صليت فصل صلاة مودع ولا تحدثنا بحديث تعتذر منه غدا واجمع اليأس مما في أيدي الناس**».

وقد قيل أيضا:

حتى متى أنا في حل وترحال ... وطول سعي وإدبار وإقبال
ونازح الدار لا أنفك مغتربا ... عن الأحبة لا يدرون ما حالي
بمشرق الأرض طورا ثم مغربها ... لا يخطر الموت من حرصي على بالي
ولو قنعت أتاني الرزق في دعة ... إن القنوع الغنى لا كثرة المال

وعاتب أعرابي أخاه على الحرص فقال: يا أخي أنت طالب ومطلوب؛ يطلبك من لا تفوته وتطلب أنت ما قد كفيته، وكأن ما غاب عنك قد كشف لك وما أنت فيه قد نقلت عنه، كأنك يا أخي لم تر حريصا محروما وزاهدا مرزوقا وفي ذلك قيل:

أراك يزيدك الإثراء حرصا ... على الدنيا كأنك لا تموت
فهل لك غاية لإن صرت يوما ... إليها قلت حسبي قد رضيت

وقد كتب بعض بنى أمية إلى أبى حازم يعزم عليه أن يرفع إليه حوائجه فكتب إليه: قد رفعت حوائجى إلى مولاى، فما أعطانى منها قبلت، وما أمسك عنى قنعت.

وقال بعض الحكماء: وجدت أطول الناس غما الحسود، وأهناهم عيشا القنوع، وأصبرهم على الاذى الحريص إذا طمع، وأخفضهم عيشا أرفضهم للدنيا وأعظمهم ندامة المغرض.

إن القناعة من يحلل بساحتها لم يلق فى دهره شيئا يؤرقه

والقناعة أن يرضى الإنسان بما وهب الله له مما لايستطيع تغييره، فلا يعيش متمنيا مالا تيسر له متطلعا إلى ما وهب لغيره ولم يوهب له.

قال أحد الصالحين: يا ابن آدم لاتخش من ضيق الرزق مادامت خزائن الله ملآنة، وخزائنه لاتنفد أبدا، ولاتأنس بغير الله، فإن أنست بغيره تعالى، فاتك الخير كله، وارض بما قسم الله لك ترح نفسك وبدنك، ولاتطالبه برزق غد، كما لايطالبك بعمل غد، فإنه لا ينسى من عصاه فكيف ينسى من أطاعه وهو على كل شيء قدير.

والناس مشارب وأصناف فمنهم من أخذت الدنيا لبه فطمع فيها وحرص عليها، ومنهم من عمل لدنياه وآخرته، واستمتع من الدنيا بما رزقه الله ورضى وقنع، وهذا عيش المؤمن والقناعة المحمودة، ومنهم من وجد متاع الحياة وزخرفها عرضا زائلا ولذة مؤقتة فأخذ من الدنيا ما لا بد منه وعاش عيش الكفاف من الكسب الحلال، ومنهم من بلغ عنده الورع رتبة لايناها إلا النادرون.

روي أن أحد الصالحين كان يلبس من غزل زوجته ونسجها، فلبس قميصا جديدا ذات يوم، فشعر بحكة شديدة، واستمرت مدة اضطر بعدها أن يخلع القميص،ثم سأل زوجته: كيف نسجت القميص، فذكرت أنها نسجت بعضا منه على ضوء الشارع فتصدق به.

وروي أن حاتم الأصم قال لأولاده: إنى أريد الحج، فبكوا وقالوا: إلى من تكلنا؟ فقالت ابنته الكبرى لهم: دعوه فليس هو برازق، فسافر فباتوا جياعا، وجعلوا يوبخون البنت فقالت: اللهم لاتخجلنى بينهم، فمر بهم أمير البلد وطلب ماء فناوله أهل حاتم كوزا جديدا وماء باردا، فشرب، وقال دار من هذه؟ فقالوا: دار حاتم الأصم فرمى فيها منطقة من ذهب وقال لأصحابه: من أحبنى فعل مثلى. فرمى من حوله كلهم مثله، فخرجت البنت تبكى، فقالت أمها: مايبكيك وقد وسع الله علينا فقالت: مخلوق نظر إلينا فاستغنينا، فكيف لو نظر الخالق إلينا؟

لأن من علو النفس وسمو الخلق أن يترفع المرء عن سؤال الناس حاجة ولو كانت يسيرة، فقد قيل:

لا تخضعن لمخلوق على طمع ... فإن ذلك نقص منك في الدين
واسترزق الله مما في خزائنه ... فإنما هو بين الكاف والنون
إن ربا كفاك ما كان بالأمس ... سيكفيك فى غد ما يكون

وما أجمل حديث رسول الله ﷺ الذى يقول فيه: «**من أصبح منكم آمنا فى سربه، معافى فى جسده عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها**»

[رواه الترمذى وابن ماجه].

وفى نفس المعنى يقول الشاعر:

إذا اجتمع الإسلام والقوت ... وكان صحيحًا جسمه وهو في
فقد ملك الدنيا جميعًا ... وحق عليه الشكر لله ذي المن

فإذا أدرك ذلك العبد، اطمأن قلبه، وقنعت نفسه، ولم يربط بين حظه من الحياة ومشاعره مع الناس، فمن الغباء أن تلتوى الأثرة بالمرء فتجلعه يتمنى زوال النعمة عن الآخرين لا لشىء إلا أنه لم يكن حظه فى الدنيا مثل الآخرين، فتغلي مراجل الحقد فى نفسه لأن ما تمناه لنفسه قد فاته وامتلأت به أكف أخرى.

والفائز الحقيقى هو الذى إذا نظرت إلى وجهه تراه كأن فى وجهه نورا، هذا النور هو مزيج من الشعور بالرضا والقناعة.

فالمؤمن يرتفع فوق الأحزان الصغيرة التى تشغل من شغلتهم الدنيا عن الصواب، يستقبل بثقته فى خالقه كل حدث يعرض له، ولا يدخل فى جماعة الظالمين لأنفسهم وللناس فيحيا راضيا عن نفسه تحيط به مشاعر الرضا من الأخرين، يتوق إلى رضا الله والتقرب إليه.

ولهذا ينصح الأطباء النفسيون ورجال التربية أن ينسى الإنسان آلام أمسه ويعيش فى واقع يومه فإن الماضى بعد أن ولى لا يعود.

وقد صور هذا أحد المحاضرين بإحدى الجامعات بأمريكا تصويرا بديعا لطلبته حين سألهم: من منكم مارس نشر الخشب؟

فرفع كثير من الطلبة أصابعهم، فعاد يسألهم: منكم مارس نشر نشارة الخشب؟ فلم يرفع أحد منهم إصبعه، وعندئذ قال المحاضر بالطبع لايمكن لأحد أن ينشر نشارة الخشب فهى منشورة فعلا.

وكذلك الحال مع الماضى، فعندما ينتابكم القلق لأمور حدثت فى الماضى، فاعلموا أنكم تمارسون نشر النشارة.

فالرضا نعمة روحية جزيلة، يصل إليها من قوي إيمانه بالله وحسن اتصاله به، وقد خاطب الله رسوله عليه السلام بقوله:

﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاء اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى﴾ [طه: ١٣٠].

وامتن عليه بقوله: **﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾** [الضحى:٥].

وقال النبى ﷺ: «**ذاق طعم الإيمان من رضى بالله ربا وبالإسلام دينا بمحمد رسولا**» [رواه أحمد ومسلم].

وأثنى الله تعالى على المؤمنين بقوله: **﴿رَّضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾** [البينة: ٨].

وقال ابن الرومى:

إذا مـا كسـاك الله سربـال ... ولم تخل مـن قـوت يحل ويعْذُب

فـلا تغـبطن المترفـين فـإنهم ... عـلى حسـب مـا يكسـوهم الـدهر

فالرضا درجة أعلى من درجة الصبر، لايبلغها إلا من آتاه الله إيمانا كاملا وصبرا جميلا، فنرى الراضي مسرورا راضيا بما هو فيه، سواء أكان ذلك علة أم فقرا أم مصيبة لأنها حدثت بمشيئة الله تعالى، حتى قد يجد ماحل به نعمة أنعم الله بها عليه.

ولهذا كان من أدعية الرسول ﷺ: «**أسالك الرضا بعد القضاء**».

وقال زين العابدين: الرضا بالقضاء، أرفع درجات اليقين.

وقد حدثنا رسول الله ﷺ عن الراضين فقال: «**لأحدهم أشد فرحا بالبلاء من أحدكم بالعطاء**».

ويحدثنا التاريخ أن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه كف بصره وكان مجاب الدعوة، يأتى إليه الناس ليدعو لهم فيستجاب له، فقال له أحدهم: يا عم إنك تدعو للناس فلو دعوت لنفسك فردَّ الله عليك بصرك فقال رضى الله عنه: يابنى، إن قضاء الله عندى أحسن من بصرى.

وقد مرض أحد الصالحين وكف بصره، واعتراه ألم لا يهدأ بالمسكنات فدخل عليه أحد تلاميذه فوجده يبكى فبدأ يواسيه ويطلب منه الصبر على ما أصابه، فقال له: لا أبكى ضجرا من ألمى ولكن أبكى فرحا لأن الله وجدنى أهلا لأن يبتلينى.

فمن يدرى؟ رب ضارة نافعة، رب محنة فى طيها منحة! من يدرى؟ ربما كانت هذه المتاعب التى تعانيها بابًا إلى خير مجهول، ولئن أحسنت التصرف فيها لكنت جديرا بالنفاذ منها إلى مستقبل أطيب.

هبت عاصفة شديدة على سفينة فى عرض البحر فأغرقتها، ونجا بعض الركاب، منهم رجل أخذت الأمواج تتلاعب به حتى ألقته على شاطئ جزيرة مجهولة ومهجورة، وما كاد الرجل يفيق من إغمائه ويلتقط أنفاسه،حتى سقط على ركبتيه وطلب من الله المعونة والمساعدة وسأله أن ينقذه من هذا الوضع الأليم.

مرت عدة أيام كان الرجل يقتات خلالها من ثمار الشجر وما يصطاده من أرانب، ويشرب من جدول مياه قريب وينام في كوخ صغير بناه من أعواد الشجر ليحتمى فيه من برد الليل وحر النهار، وذات يوم أخذ الرجل يتجول حول كوخه قليلا ريثما ينضج طعامه الموضوع على بعض أعواد الخشب المتقدة. ولكنه عندما عاد، فوجئ بأن النار التهمت كل ما حولها.

فأخذ يصرخ: لماذا يا رب؟ حتى الكوخ احترق، لم يعد يتبقى لى شئ فى هذه الدنيا

وأنا غريب فى هذا المكان والآن أيضاً يحترق الكوخ الذى أنام فيه لماذا يا رب كل هذه المصائب تأتى علىّ؟!! ونام الرجل من الحزن وهو جائع.

و لكن فى الصباح كانت هناك مفاجأة فى انتظاره إذ وجد سفينة تقترب من الجزيرة وتنزل منها قارباً صغيرا لإنقاذه أما الرجل فعندما صعد على سطح السفينة أخذ يسألهم كيف وجدوا مكانه؟ فأجابوه: لقد رأينا دخاناً، فعرفنا إن شخصاً ما يطلب الإنقاذ.

فسبحان من علِم بحاله ورأى مكانه، سبحانه مدبر الأمور كلها من حيث لا ندري ولا نعلم، فإذا ساءت ظروفك فلا تخف، فقط ثِق بأنَّ الله له حكمة في كل شيء يحدث لك وأحسن الظن به، وعندما يحترق كوخك، اعلم أن الله يسعى لانقاذك.

وصدق الله العظيم حين قال:

﴿وَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦].

إن اكثرنا يتبرم بالظروف التى تحيط به، وقد يضاعف مافيها لأن نظرته إليها نظرة سوداء، فعندما فقد عبد الله بن عباس عينيه وعرف أنه سيقضى مابقى من عمره مكفوف البصر، محبوسا وراء الظلمات عن رؤية الحياة والأحياء لم يطو على نفسه الباب ليندب حظه العاثر، بل قبل القسمة المفروضة، ثم أخذ يضيف إليها ما يهون المصاب ويبعث على الرضا فقال:

إن يأخذ الله من عينى نورهما ... ففى لسان وسمعى منهما نور

قلبى ذكى وعقلى غير ذى دخل ... وفى فمى صارم كالسيف مأثور

فبعض الناس يسرفون فى التشاؤم وتضخيم السلبيات ولا يتذكرون الإيجابيات والحسنات، فالدنيا عندهم دائمة مظلمة سوداء فهم كالخفافيش لا يحسنون العيش إلا فى الظلام، وتزداد المشكلة سوء عندما ينقلون مشاعرهم وقناعاتهم المظلمة إلى الآخرين فيساهمون فى تثبيطهم، ويكونون معول هدم وتيئيس لمن حولهم من الأفراد.

إن القناعة والرضا يحدان من سوْرة الحرص والطمع، وطغيان الشراهة والجشع على

النفس البشرية، فلا تستبد بها وتجعلها تحيا فى قلق دائم لا تكتفى بقليل ولا تشبع من كثير، فيعيش الإنسان بعد ذلك فى سعادة دائمة يشعر بها بين جوانحه، صفاء نفس، وطمأنينة قلب، وانشراح صدر، وراحة ضمير.

فقد سئلت للسعادة: أين تسكنين؟ قالت: فى قلوب الراضين، فبم تتغذين؟ قالت: من قوة إيمانهم، فبم تأتين؟ قالت: أن تعلم نفس أن لن يصيبها إلا ماكتب الله لها، فبم ترحلين؟ قالت:

بالطمع بعد القناعة، وبالحرص بعد السماحة، وبالهم بعد السرور، وبالشك بعد اليقين

وصدق رسول الله ﷺ وهو يبشرنا فيقول: «**من سعادة المرء استخارته ربه، ورضاه بما قضى، ومن شقاء المرء تركه الاستخارة وعدم رضاه بعد القضاء**» [رواه البزار].

ويقول الرسول ﷺ: «**إن الله عز وجل بقسطه جعل الفرح والروح فى الرضا واليقين وجعل الغم والحزن فى السخط والشك**».

وفى هذا الحديث الشريف كشف عن حقيقة نفسية باهرة، فكما أن سنة الله قد ربطت الشبع والرى بالطعام والشراب فى عالم المادة، لأن سنته تعالى فى عالم النفس والروح قد ربطت الفرح والروح، وبعبارة أخرى السرور وراحة النفس بالرضا والقناعة.

فسعادة الإنسان وشقاوته أو قلقه وسكينته تنبع من نفسه؛ لأنه هو الذى يعطى الحياة لونها البهيج أو المقبض.

وصدق الرسول ﷺ إذ يقول: «**فمن رضي فله الرضي ومن سخط فله السخط**» [رواه الترمذي].

فعليك أخى الحبيب:

إذا أردت أن تفوز بجائزة

من جوائز السماء أن تقنع بما عندك وأن ترضى بما آتاك

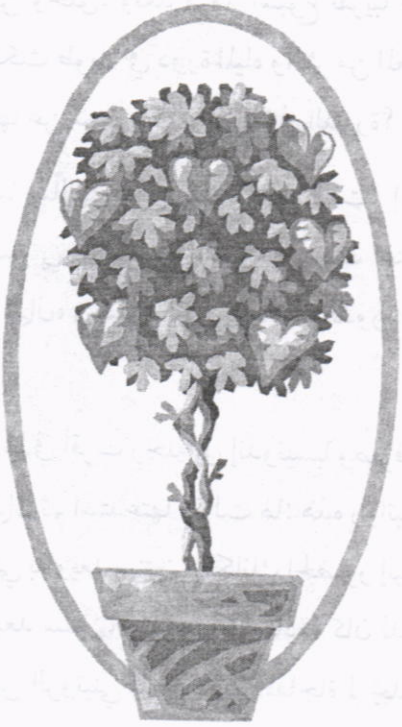

كنز لاتصل إليه الأيدي

إذا استطعت أن تجعل كنزك

حيث لا يأكله السوس

ولا تناله اللصوص

فافعل بالصدقة

ابن مسعود

يروى أن إحدى النساء أصيبت بمرض سرطان الدم ولحاجتها للرعاية استقدمت خادمة اندونيسية وكانت هذه المرأة صاحبة دين وخلق، وبعد مرور أسبوع تقريبا على حضور الخادمة لاحظت هذه المرأة أن الخادمة تمكث طويلا في دورة المياه وأكثر من المعتاد وتتردد كثيرا على الدورة وفي إحدى المرات سألتها عن سبب بقاءها طويلا في الدورة؟

فأخذت الخادمة تبكي بكاء شديد وعندما سألتها عن سبب بكائها قالت: إنني وضعت ابني من عشرين يوم فقط وعندما اتصل بي المكتب في إندونيسيا أردت اغتنام الفرصة والحضور للعمل عندكم لحاجتنا الماسة للمال، وسبب بقائي طويلا في الدورة هو أن صدري مليء بالحليب وأقوم بتخفيفه.

عندما علمت هذه المرأة قامت فورا بالحجز لها في أقرب رحلة إلى إندونيسيا وصرفت المبلغ الذي ستتقاضاه خلال السنتين بالتمام والكمال ثم استدعتها وقالت لها: هذه رواتبك لمدة سنتين مقدمًا اذهبي إلى ابنك وأرضعيه واعتني به وبعد سنتين بإمكانك الحضور إلينا، وأعطتها أرقام الهواتف في حال رغبتها للعودة بعد سنتين، وبعد سفر الخادمة كان لدى المرأة موعد متابعة لتطور السرطان وعند الفحص الروتيني للدم كانت المفاجاة لم يجدوا فيها أي أثر للسرطان.

طلب الدكتور منها أن تعيد التحليل عدة مرات وكانت النتيجة واحدة، ذهل الدكتور لشفائها لخطورة المرض فحولها على الأشعة فوجد نسبة السرطان صفر ٪ عندها أيقن الدكتور شفاءها.

سألها عن العلاج المستخدم وكان جوابها عن أبي أمامه رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**داوو مرضاكم بالصدقة**».

فالإسلام دين البذل والإنفاق، وينهى عن الشح والإمساك ولذلك حبب إلى بنيه أن تكون نفوسهم سخية، وأكفهم ندية ووصاهم بالمسارعة إلى دواعى الإحسان ووجوه البر، وأن يجعلوا تقديم الخير إلى الناس شغلهم الدائم لا ينفكون عنه فى صباح أو مساء.

﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِالَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرّاً وَعَلاَنِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ

﴿عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٤].

فمن الواجب على المسلم أن يشرك غيره فيما آتاه الله من فضله وأن يجعل فى ماله متسعا يسعف به المنكوبين ويريح المتعبين.

قال رسول الله ﷺ: «**يابن آدم إنك إن تبذل الفضل خير لك، وإن تمسكه شر لك، ولا تلام على كفاف، وابدأ بمن تعول واليد العليا خير من اليد السفلى**» [رواه مسلم].

وكما يقول الشاعر:

تعـوّد بسـطَ الكـف حتـى لـو أنـه ... ثناهـا لقـبضٍ لم تُطعـه أنامِلُـه

تـراه إذا مـا جئتَـه مـتهَلِلاً ... كأنـكَ تعطيـه الـذي أنـت سـائله

هـو البحـرُ مـن أي النـواحي أتيتَـه ... فلجّتـه المعـروف والجـود سـاحِلُه

ولـو لم يكـن في كفـه غـيرُ روحـه ... لجـاد بهـا فليتـق اللهَ سـائله

ولقد كان السخاء واحد من مقومات الأمة العربية قبل الإسلام وبعده، وهو الذى أنبت لها فى العالمين أجنحة طارت بها إلى حيث همم عالية:

سجية تلك فيهم غير محدثة ... إن الخلائق فاعلم شرها البدع

فلما جاء الإسلام، سقى الله تعالى به شجرة السخاء، فأينعت ثم أثمرت، ثم صارت (إنفاقا) يراد به وجه الله تعالى.

وهذا رسول الله ﷺ، لقد كان سخيا إلى حد يعطى فيه عطاء من لا يخشى الفقر.

وإذا سخوت، بلغت بالجود المدى ... وفعلت ما لا تفعل الأنواء

والمسلم الحق كريم جواد، يداه مبسوطتان، تهميان بالخير على أبناء مجتمعه فى شتى المناسبات والأحوال، وهو إذ ينفق يبذل بسخاء المؤمن الواثق بأن عطاياه لاتضيع إذ هى محفوظة لدى عليم خبير ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [البقرة ٢٧٣].

ولقد كان رسول الله ﷺ حريصا على تأصيل فضيلة الكرم فى نفوس المسلمين وجعلها من الفضائل التى يتسابق المسلمون إلى التحلي بها والتنافس فيها، فقال:

«**ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقا خلفا، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكا تلفا**».

ولقد وسع الإسلام دائرة الخير ليلجها كل مسلم، فلا يحس الفقير أنه محروم من المشاركة الاجتماعية الخيرة، لصفر يديه من المال، ففتح له أبواب المشاركة، قال النبي ﷺ: «**اتقو النار ولو بشق تمرة**».

فكان رحيما بالمسلمين، إذ لم يكلفهم مالا يطيقون ولم يطلب منهم إلا أن يبذلوا فضول أموالهم.

ما كلف الله نفسا فوق طاقتها ولا تجود يد إلا بما تجد

وعن أبي عمرو جرير بن عبد الله ﷺ قال: كنا في صدر النهار عند رسول الله ﷺ فجاءه قوم عراة مجتابي النمار أو العباء متقلدي السيوف عامتهم بل كلهم من مضر، فتمعر وجه رسول الله ﷺ لما رأى بهم من الفاقة فدخل ثم خرج، فأمر بلالاً فأذن وأقام ثم صلى ثم خطب فقال: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ**﴾ إلى آخر الآية ﴿**إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا**﴾ والآية الأخرى التي في آخر الحشر ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ**﴾ تصدق رجل من دينارِه، من درهمه، من ثوبه، من صاع بره، من صاع تمره، حتى قال: **ولو بشق تمرة** فجاء رجل من الأنصار بصرة كادت كفه تعجز عنها بل قد عجزت، ثم تتابع الناس حتى رأيت كومين من طعام وثياب، حتى رأيت وجه رسول الله ﷺ يتهلل كأنه مذهبة، فقال رسول الله ﷺ: «**من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء**» [رواه مسلم].

فيا راغبا فى ثواب الله الجزيل، ويا محبا أن تكون من أهل جناته هل سألت نفسك يومًا: هل أنت من المتصدقين؟ وهل فكرت أن تكون من أهلها؟ وهل فكرت يوما فى ثوابها وجوائزها العجيبة التى يمكنك الحصول عليها من السماء؟

قال أبو ذر الغفارى ﷺ: الصلاة عماد الإسلام، والجهاد سنام العمل، والصدقة شىء عجيب، والصدقة شىء عجيب، والصدقة شىء عجيب.

ففضل الصدقة عظيم، وجوائزها تصل لأصحابها فى الدنيا والآخرة ولا تنس أن مايصلك من جوائزها أكثر مما يصل من تصدقت عليه.

قال الشعبى: من لم ير نفسه لثواب الصدقة أحوج من الفقير إلى صدقته، فقد أبطل صدقته، وضرب بها وجهه.

وكان سفيان الثوري ينشرح إذا رأى سائلا على بابه ويقول: مرحبا بمن جاء يغسل ذنوبي.

وكان الفضيل بن عياض يقول: نعم السائلون، يحملون أزوادنا إلى الآخرة بغير أجرة!حتى يضعوها فى الميزان بين يدي الله تعالى.

فإن الصدقة بركة وتوفيق، وخير وذخر، وأصحابها هم أهل المعروف، وأسعدهم بها أصدقهم نية، وأعرفهم بشرفها.

فتصدق أخى الحبيب، وثق بموعود الله تعالى، فإنه لا يخلف الميعاد واعلم أنك ما من شىء تخرجه لله تعالى وجدته أمامك مدخرا.

فتصدق وأنفق وأيقظ همتك، واطرد الشبح والحرص من قلبك، وابذل المعروف للمحتاج،فكم من جائع اللقمة عنده أفضل مما حوته الدنيا!

وكم من عار، الثوب عنده افضل من كل غال!

ثم أخى الحبيب:

لابد أن تعلم أن جوائز المتصدقين كثيرة وعظيمة فتعرف على هذه الجوائز لتحرص على الفوز بها.

الصدقة تطفيء الخطيئة

ففى حديث معاذ بن جبل رضى الله عنه قال رسول الله ﷺ: «**الصدقة تطفيء الخطيئة كما يطفيء الماء النار**» [رواه الترمذي].

وقال الله تعالى: ﴿**إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ**﴾ [البقرة ٢٧١].

وقال: ﴿**إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ اللَّهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ**﴾ [التغابن ١٧].

فإذا انزلق المسلم إلى ذنب وشعر بأنه باعد بينه وبين ربه فإن الطهور الذى يعيد إليه نقاءه ويرد إليه ضياءه ويلفه فى ستار الغفران والرضا أن يجنح إلى مال عزيز عليه، فينخلع عنه للفقراء والمساكين زلفى ليتقرب بها إلى أرحم الراحمين.

عن أبى ذر أن رسول الله ﷺ قال: تعبد عابد من بني إسرائيل فعبد الله في صومعته ستين عاما، فأمطرت الأرض فاخضرت فأشرف الراهب من صومعته فقال: لو نزلت فذكرت الله فازددت خيرا، فنزل ومعه رغيفا أو رغيفان، فبينما هو في الأرض لقيته امرأة، فلم يزل يكلمها وتكلمه حتى غشيها، ثم أغمي عليه، فنزل الغدير يستحم، فجاء سائل فأومأ إليه أن يأخذ الرغيفين أو الرغيف،ثم مات فوزنت عبادة ستين سنة بتلك الزنية فرجحت الزنية بحسناته ثم وضع الرغيف أو الرغيفان مع حسناته فرجحت حسناته فغفر له. [رواه ابن حبان].

ومن أروع الأمثلة: ما أوحى الله به إلى نبيه يحيى ليعلمه أمته فقال لهم: وآمركم بالصدقة فإن مثل ذلك كمثل رجل أسره العدو فأوثقو يديه إلى عنقه وقدموه ليضربوا عنقه فجعل يقول: هل لكم أن أفدى نفسي منكم وجعل يعطى القليل والكثير حتى فدى نفسه رواه الحاكم

وقال ابن مسعود ﷺ: أن رجلا عبد الله سبعين سنة، ثم أصاب فاحشة فأحبط عمله، ثم مر بمسكين فتصدق عليه برغيف فغفر الله له ذنبه، ورد عليه عمل السبعين سنة.

الصدقة تدفع المكروه:

قال رسول الله ﷺ: «**صنائع المعروف تقي مصارع السوء، وصدقة السر تطفئ غضب الرب وصلة الرحم تزيد فى العمر**» [رواه الطبراني].

قال ابن الجعد: إن الصدقة لتدفع سبعين بابا من السوء.

الصدقة سبب فى نماء المال وبركته:

قال تعالى: ﴿**يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ**﴾ [البقرة ٢٧٦].

وقال رسول الله ﷺ: «**ما نقصت صدقة من مال**» [رواه مسلم].

الصدقة تقربك من الله تعالى:

قال عبد العزيز بن عمير: الصلاة تبلغك نصف الطريق، والصوم يبلغك باب الملك، والصدقة تدخلك عليه.

مرض عبد الله بن عمر رضى الله عنها يوما فاشتهى سمكة طرية فجعلوا يلتمسونها له بالمدينة حتى وجدوها فاشتروها له بدرهم ونصف، ثم شويت وحملت إليه على رغيف، فقام سائل على الباب فقال للغلام: لفها برغيفها وادفعها إليه، فقال الغلام: أصلحك الله، إنك اشتهيتها منذ كذا، وكذا يوم، فلم نجدها، فلما وجدناها واشتريناها أمرت أن ندفعها إليه؟ نعطيه ثمنها، فقال: لفها وادفعها إليه، فقال الغلام للسائل: هل لك أن تأخذ درهم وتدع هذه السمكة؟ فرضي السائل، وأخذ الدرهم، وردها، فعاد الغلام وقال لابن عمر: دفعت إليه درهما وأخذتها منه، فقال له: لفها وادفعها إليه، ولا تأخذ منه شيئا فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**أيما امرىء اشتهى شهوته وأثر بها فى نفسه غفر الله له**».

الصدقة تظلل صاحبها يوم القيامة:

قال رسول الله ﷺ: «**كل امرىء فى ظل صدقته حتى يقضى بين الناس**» رواه أحمد.

المتصدق فى ظل العرش يوم القيامة :

ففى حديث السبعة الذين يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله «**ورجل تصدق بصدقة فأخفاها، حتى لاتعلم شماله ماصنعت يمينه**» [رواه البخاري ومسلم].

وقال رسول الله ﷺ: «**من نفس عن غريمه، أو محا عنه كان فى ظل العرش يوم القيامة**» [رواه البغوى].

الصدقة وقاية من النار:

عن عدى بن حاتم رضى الله عنه قال: قال النبى ﷺ: «**اتقوا النار ثم أعرض وأشاح ثم قال اتقوا النار، ثم أعرض وأشاح ثلاثا، ثم قال اتقوا النار ولو بشق تمرة، فمن لم يجد فبكلمة طيبة**» [رواه البخارى ومسلم].

الصدقة سبب فى تيسير مواقف الحساب يوم القيامة :

قال عبيد بن عمير: يحشر الناس يوم القيامة أجوع ما كانوا قط وأعطش ما كانوا قط، وأعرى ما كانوا قط، فمن أطعم لله عز وجل أشبعه الله، ومن سقى لله عز وجل سقاه الله، ومن كسا لله عز وجل كساه الله

الصدقة تطفىء حر القبور:

قال رسول الله ﷺ: «**إن الصدقة لتطفىء عن أهلها حر القبور وإنما يستظل المرء من يوم القيامة فى ظل صدقته**» [رواه الطبراني].

يروي احد التابعين الكبار وهو أحمد بن مسكين هذه القصة:

كان هناك رجل اسمه أبو نصر الصياد، يعيش مع زوجته وابنه في فقر شديد فمشى في الطريق مهموماً لأن زوجته وابنه يبكيان من الجوع فمر على شيخ من علماء المسلمين وهو أحمد بن مسكين وقال له: أنا متعب فقال له: اتبعني إلى البحر فذهبا إلى البحر، وقال له: صلى ركعتين فصلى، ثم قال له: قل بسم الله، فقال: بسم الله... ثم رمى الشبكة فخرجت بسمكة عظيمة. قال له: بعها واشتر طعاماً لأهلك، فذهب وباعها في السوق

واشترى فطيرتين إحداهما باللحم والأخرى بالحلوى وقرر أن يذهب ليطعم الشيخ منها فذهب إلى الشيخ وأعطاه فطيرة، فقال له الشيخ: لو أطعمنا أنفسنا هذا ما خرجت السمكة.

أي أن الشيخ كان يفعل الخير للخير، ولم يكن ينتظر له ثمناً، ثم رد الفطيرة إلى الرجل وقال له: خذها أنت وعيالك.

وفي الطريق إلى بيته قابل امرأة تبكي من الجوع ومعها طفلها، فنظرا إلى الفطيرتين في يد الرجل. فسأل الرجل نفسه: هذه المرأة وابنها مثل زوجتي وابني يتضوران جوعاً فلمن أعطي الفطيرتين، ونظر إلى عيني المرأة فلم يحتمل رؤية الدموع فيها، فقال لها: خذي الفطيرتين فابتهج وجهها وابتسم ابنها فرحاً.. وعاد يحمل الهم، فكيف سيطعم امرأته وابنه؟

خلال سيره سمع رجلاً ينادي: من يدل على أبو نصر الصياد؟.. فدله الناس على الرجل.. فقال له: إن أباك كان قد أقرضني مالاً منذ عشرين سنة. ثم مات ولم أستدل عليه، خذ يا بني ٣٠ ألف درهم مال أبيك.

يقول أبو نصر الصياد: وتحولت إلى أغنى الناس وصارت عندي بيوت وتجارة وصرت أتصدق بالألف درهم في المرة الواحدة لأشكر الله.

وأعجبتني نفسي لأني كثير الصدقة، فرأيت رؤيا في المنام أن الميزان قد وضع وينادي مناد: أبو نصر الصياد هلم لوزن حسناتك وسيئاتك، يقول فوضعت حسناتي ووضعت سيئاتي، فرجحت السيئات، فقلت:أين الأموال التي تصدقت بها؟ فوضعت الأموال، فإذا تحت كل ألف درهم شهوة نفس أو إعجاب بنفس كأنها لفافة من القطن لا تساوي شيئاً، ورجحت السيئات. وبكيت وقلت: ما النجاة وأسمع المنادي يقول: هل بقى له من شيء؟ فأسمع الملك يقول: نعم بقيت له رقاقتان فتوضع الرقاقتان (الفطيرتين) في كفة الحسنات فتهبط كفة الحسنات حتى تساوت مع كفة السيئات. فخفت وأسمع المنادي يقول: هل بقى له من شيء؟ فأسمع الملك يقول: بقى له شيء فقلت: ما هو؟ فقيل له:

دموع المرأة حين أعطيت لها الرقاقتين (الفطيرتين) فوضعت الدموع فإذا بها كحجر فثقلت كفة الحسنات، ففرحت فأسمع المنادي يقول: هل بقى له من شيء؟ فقيل: نعم ابتسامة الطفل الصغير حين أعطيت له الرقاقتين وترجح وترجح وترجح كفة الحسنات.. وأسمع المنادي يقول: لقد نجا لقد نجا فاستيقظت من النوم أقول: لو أطعمنا أنفسنا هذا لما خرجت السمكة.

أرايت أخى الحبيب، كم هى كثيرة تلك الجوائز التى يمكنك أن تفوز بها

فعليك أخى الحبيب:

إذا أردت أن تفوز بجائزة من جوائز السماء أن تتصدق على المحتاجين والفقراء

سعادة الدارين

الدنيا والآخرة

قل للذي نشد السعادة دونك النبع الفريد
إن السعادة منك لا تأتيك من خلف الحدود
هي بنت قلبك بنت عقلك ليس تشرى بالنقود
فاسعد بذاتك أو فدع أمر السعادة للسعيد

د. يوسف القرضاوى

في أحد المستشفيات كان هناك مريضان في غرفة واحدة، كلاهما به مرض عضال، أحدهما كان مسموحاً له بالجلوس في سريره لمدة ساعة يومياً بعد العصر، ولحسن حظه فقد كان سريره بجانب النافذة الوحيدة في الغرفة، أما الآخر فكان عليه أن يبقى مستلقياً على ظهره طوال الوقت، كان المريضان يقضيان وقتهما في الكلام دون أن يرى أحدهما الآخر لأن كلاً منهما كان مستلقياً على ظهره ناظراً إلى السقف.

تحدثا عن أهليهما وعن منزلهما وعن حياتهما، وعن كل شيء، وفي كل يوم بعد العصر كان الأول يجلس في سريره حسب أوامر الطبيب وينظر في النافذة ويصف لصاحبه العالم الخارجي وكان الآخر ينتظرهذه الساعة كما ينتظرها الأول لأنها تجعل حياته مفعمة بالحيوية وهو يستمع لوصف صاحبه للحياة في الخارج، ففي الحديقة كانت هناك بحيرة كبيرة يسبح فيها البط. والأولاد صنعوا زوارق من مواد مختلفة وأخذوا يلعبون فيها داخل الماء وهناك رجل يؤجِّر المراكب الصغيرة للناس يبحرون بها في البحيرة والنساء قد أدخلت كل منهن ذراعها في ذراع زوجها والجميع يتمشى حول حافة البحيرة. وهناك آخرون جلسوا في ظلال الأشجار أو بجانب الزهور ذات الألوان الجذابة ومنظر السماء كان بديعاً يسر الناظرين فيما يقوم الأول بعملية الوصف هذه ينصت الآخر في ذهول لهذا الوصف الدقيق الرائع، ثم يغمض عينيه ويبدأ في تصور ذلك المنظر البديع للحياة خارج المستشفى.

وفي أحد الأيام وصف له عرضاً عسكرياً ورغم أنه لم يسمع عزف الفرقة الموسيقية إلا أنه كان يراها بعيني عقله من خلال وصف صاحبه لها.ومرت الأيام والأسابيع وكل منهما سعيد بصاحبه.

وفي أحد الأيام جاءت الممرضة صباحاً لخدمتهما كعادتها فوجدت المريض الذي بجانب النافذة قد قضى نحبه خلال الليل ولم يعلم الآخر بوفاته إلا من خلال حديث الممرضة عبر الهاتف وهي تطلب المساعدة لإخراجه من الغرفة. فحزن على صاحبه أشد الحزن.

وبعد مضي عده أيام طلب من الممرضة أن تنقل سريره إلى جانب النافذة ولما لم يكن هناك مانع فقد أجابت طلبه. ولما حانت ساعة بعد العصر وتذكر الحديث الشيق الذي كان يتحفه به صاحبه انتحب لفقده. ولكنه قرر أن يحاول الجلوس ليعوض ما فاته في هذه الساعة وتحامل على نفسه وهو يتألم ورفع رأسه رويداً رويداً مستعيناً بذراعيه ثم اتكأ على أحد مرفقيه وأدار وجهه ببطء شديد تجاه النافذة لينظر العالم الخارجي.وهنا كانت المفاجأة!! لم ير أمامه إلا جداراً أصم من جدران المستشفى فقد كانت النافذة على ساحة داخلية.

نادى الممرضة وسألها إن كانت هذه هي النافذة التي كان صاحبه ينظر من خلالها فأجابت إنها هي!!

فالغرفة ليس فيها سوى نافذة واحدة. ثم سألته عن سبب تعجبه فقص عليها ما كان يرى صاحبه عبر النافذة وما كان يصفه له. كان تعجب الممرضة أكبر!! إذ قالت له: ولكن المتوفى كان أعمى ولم يكن يرى حتى هذا الجدار الأصم ولعله أراد أن يجعل حياتك سعيدة حتى لا تُصاب باليأس فتتمنى الموت.

المسلم الواعى يحرص على أن ينشر السعادة والمسرة فى الربوع التى يحلها ويشيع بين أهلها الأنس والمودة والغبطة، فإدخال السرور على القلوب فى إطار ما أحل الله مطلب إسلامى ندب إليه الشرع، ورغب فى فعله لتكون بيئات الإسلام وأجواء المسلمين مترعة بالود، ندية بأنسام المسرة عامرة بالبشر والتفاؤل.

ومن أجل ذلك جعل الإسلام جزاء من يدخل السرور على قلوب المسلمين أن يظفر بسرور أكبر، يدخله الله جل جلاله على قلبه يوم القيامة.

إن من الناس من يرى السعادة فى نواحى الجمال فى الوجود، فالمنظر الجميل، والفكرة الصائبة، والنغم الحلو، واللقاء السعيد كلها بواعث للسعادة، ولكن إسعاد الآخرين أجمل عند صفوة الناس، فليس أحب إلى قلب هؤلاء من أن يروا مظاهر السعادة على وجوه الآخرين.

فمنهم من يجد السعادة فى إسعاد زوجه وأولاده وأعظم ما يفرحه رعاية أسرته، ويحس فى ذلك اللذة كلها، وهو بذلك يحقق رغابته الشخصية ويسعد نفسه بإسعاد من يحب.

فالسعادة قد تنبع من إسعاد الآخرين، أو التضحية لأجلهم لاستمرار سعادتهم خصوصا إن كنا نحبهم حقا.

والحياة عمل تستفيد منه، أو يستفيد منه الآخرون، فإذا قدمت للآخرين خيرا، سعدت بذلك فى الدنيا والآخرة، وإذا قدمته لنفسك سعدت فى تلك اللحظة وحدها.

وكما قيل: من تسبب فى سعادة إنسان، تحققت سعادته.

وقيل: السعادة عطر لاتستطيع أن تعطر به غيرك، دون أن تنهال منه قطرات عليك

وقد غفر الله تعالى لمن سقى كلبا عطشانا فكيف بمن أحس بإحساس أخيه الإنسان وروى ظمأه؟

قال رسول الله ﷺ: «**من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسّر على معسر، يسّر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مؤمنا ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه**» [رواه مسلم].

إن المسلم الحق لابد أن يكون زوجا مثاليا تنعم امرأته بعشرته الدمثة وتسعد برفقته المهذبة الراقية، مهما امتد بهما العمر وطالت الأيام.

إذا دخل البيت أقبل على زوجه وأولاده بوجه طلق المحيا مفتر الأسارير، فيبادرهم بالتحية المباركة الطيبة التى أمر الله تعالى بها وجعلها تحية الإسلام المميزة إذ قال: ﴿**فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً**﴾ [النور: ٦١].

ونص على هذه التحية الرسول الكريم إذ قال لأنس ﷺ: «يا بنى، إذا دخلت على أهلك فسلم يكن بركة عليك وعلى أهل بيتك».

ولا يفوت المسلم النابه اللبق أن يرطب جفاف الحياة الرتيبة مع زوجته، وينضر

جوانب العيش والمعاشرة الدائمة بالمداعبة اللطيفة الممتعة، والنكتة المرفهة السارة يطلقها بين الحين والحين متأسيا بالرسول ﷺ، فمن ذلك ماروته السيدة عائشة رضى الله عنها قالت: أتيت النبى ﷺ بحريرة قد طبختها له، فقلت: لسودة رضى الله عنها والنبى بينى وبينها: كلى فأبت ن فقلت: لتأكلن، أو لألطخن وجهك، فأبت، فوضعت يدى فى الحريرة فطليت وجهها، فضحك النبى ﷺ فوضع بيده لها وقال: **الطخى وجهها**، ورسول الله ﷺ يضحك.

أرايت إلى هذا الخلق الرضي، والسماحة الطليقة، والقلب الكبير فى مداعبة الزوجة ومازحتها وحسن معاشرتها وإدخال السرور والمرح على قلبها!

وتروى السيدة عائشة أنها كانت مع رسول الله ﷺ فى سفر فسابقته فسبقته، فلما حملت اللحم وبدنت سابقته فسبقها فقال: هذه بتلك السبقة [رواه أحمد]

ويتسع صدره الشريف لإدخال المزيد من السرور على قلب زوجته الحبيبة، فيدعوها لحضور ضروب من اللهو البرىء ترفه به عن نفسها وتستمع بمشاهدتها، فعن السيدة عائشة: أن النبى ﷺ كان جالسا فسمع ضوضاء الناس والصبيان فإذا حبشية ترقص والناس حولها، فقال: يا عائشة: تعالى فانظرى فوضعت خدى على منكبيه فجعلت أنظر مابين المنكبين إلى رأسه فجعل يقول: **يا عائشة ما شبعت؟**، فأقول: لا، لنظر منزلتي عنده، فلقد رايته يراوح بين قدميه.

والمسلم الحق لابد أن يكون أبا حصيفا، يدرك نفسيات أطفاله فيحسن التأتى إليها، والتوغل فى عوالمها الصافية البريئة فيتحبب إلى أولاده بشتى الوسائل، فيدنو منهم، فيلاعبهم ويمازحهم، ويسمعهم من كلمات المحبة ما تبتهج به نفوسهم وقد يظن بعض الناس أن تبسط الوالد مع أولاده ومخالطته إياهم يخل بأبوته فى أعينهم، ويزرى بمقامه التربوى فى نظرهم وهذا خطأ محض فإن النبى قال: «**من كان له صبى فليتصاب له**».

وكان ﷺ يلاطف عبد الله وعبيد الله وكثير بن العباس رضى الله عنهم ثم يقول: من سبق إلىَ فله كذا أو كذا فيستبقوا إليه فيقفون على ظهره وصدره فيقبلهم.

وأخرج الطبرانى عن أبى هريرة أن النبى ﷺ أخذ بيد الحسن او الحسين رضى الله عنهما ثم وضع قدميه على قدمه ثم قال: «**ترق**».

وفى الحديث الذى رواه الطبراني عن جابر ﷺ قال: دخلت على النبى ﷺ وهو يمشى على أربعة، وعلى ظهره الحسن والحسين رضى الله عنهما وهو يقول: «**نعم الجمل جملكما ونعم العدلان أنتما**».

وفى الحديث الذى رواه مسلم: كنا مع رسول الله فدعينا إلى طعام فإذا الحسين رضى الله عنه يلعب فى الطريق مع صبيان فأسرع النبى ﷺ أمام القوم ثم بسط يديه، فجعل الغلام يفر من ها هنا وها هنا، ويضاحكه النبى ﷺ حتى أخذه فجعل إحدى يديه فى ذقنه والأخرى فى رأسه ثم اعتنقه وقبله.

وهكذا ينبغى أن يكون شأن المسلم مع أولاده يخالطهم ويمازحهم ويدخل على قلوبهم السعادة والغبطة مااستطاع إلى ذلك سبيلا وماوجد من وقته فراغا وسعة.

إن المسلم الحق من يخص بعطائه وكرمه الفئات التى تستحق الرفد والإعانة مثل اليتيم فيكفله إن استطاع، فيقوم بالنفقة عليه والعناية بشؤونه، سواء أكان هذا اليتيم قريبا له أم بعيدا،محتسبا ماينفقه فى هذا السبيل عند الله الذى أعد لكافل اليتيم مقاما عليا تتقطع دونه الأعناق، بمنحه شرف جوار الرسول الكريم فى الجنة، فعن سهل بن سعد رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أنا وكافل اليتيم فى الجنة هكذا وأشار بالسبابة والوسطى ومزج بينهما**» [رواه البخاري].

وكذلك يسعى المسلم التقى المحسن السخى على الأرملة والمسكين امتثالا لهدي دينه القويم، وابتغاء مرضاة ربه، وسعيا وراء المثوبة الكبرى التى أجزلها الله تعالى للساعي على الأرملة والمسكين، حتى إنها لتفوق أجر الصائم القائم، أو المجاهد فى سبيل الله، كما أخبر بذلك الرسول الكريم بقوله: «**الساعى على الأرملة والمسكين كالمجاهد فى سبيل الله، وأحسبه قال: وكالقائم الذى لا يفتر، وكالصائم الذى لا يفطر**».

وروى عن أنس بن مالك ﷺ عن النبى ﷺ أنه خرج لصلاة العيد والصبيان يلعبون

وفيهم صبي جالس فى مقابلهم وعليه ثياب بذلة وهو يبكى فقال النبى ﷺ: **أيها الصبى مالك تبكى فلا تعلب معهم؟** فلم يعرفه الصبى فقال له: أيها الرجل مات أبى بين يدى رسول الله فى غزوة كذا وتزوجت أمى وأكلت أموالى، وأخرجنى زوجها من بيتى، وليس لى طعام ولا شراب ولا ثياب ولا بيت، فلما نظرت اليوم إلى الصبيان ذوى الآباء أخذتنى مصيبة أبى فلذلك أبكى، فأخذه رسول الله بيده فقال له: يا صبى هل ترضانى أن أكون أبا، وعائشة أما وعلى عما والحسن والحسين أخوين وفاطمة أختا لك؟ فحمله النبى ﷺ إلى منزله وألبسه أحسن الثياب وأشبعه وزينه وطيبه فخرج الصبى ضاحكا مستبشرا فلما رآه الصبيان قالوا له: كنت قبل الآن تبكى فما بالك صرت الآن مسرورا؟ فقال: كنت جائعا فشبعت، وكنت عاريا فلبست، وكنت يتيما فكان رسول الله أبى وعائشة أمى والحسن والحسين أخوى وعلى عمى وفاطمة أختي أفلا أفرح؟ فقال الصبيان: ياليت أبائنا قتلوا فى سبيل الله فى تلك الغزوة فنكون كذلك.

وما أعظم ما قاله رسول الله ﷺ: «**أفضل الأعمال أن تدخل على أخيك المؤمن سرورا أو تقضى عنه دينا أو تطعمه خبزا**» [رواه البيهقي].

روي أن الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى سمع أن شخصا في بلاد ما وراء النهر يروي أحاديث، فسار إليه ودخل عليه فوجده يطعم كلبا، وهو مشتغل به، قال الإمام أحمد: فأخذت في نفسي وأضمرت أن أرجع إذا لم يلتفت إلى، ثم قال الرجل للإمام أحمد: حدثني أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**من قطع رجاء من ارتجاه قطع الله رجاءه يوم القيامة فلم يلج الجنة**». وإن أرضنا هذه ليست بأرض كلاب، وقد قصدني هذا الكلب فخشيت أن أقطع رجاءه قال الإمام أحمد رحمه الله: هذا الحديث يكفيني. ثم رجع قافلا إلى أهله.

هكذا كانوا يصنعون مع الحيوان، فما أدارك بصنيعهم مع الإنسان، فإن خدمة الآخرين تعتبر من أعظم الوسائل التى تجلب السرور على القلوب، والخدمة قد تكون عن طريق الوظيفة، حيث إذا رأيت شخصا وتكلفت خدمته وإنهاء معاملته فقد أدخلت السرور على قلبه وكسبت وده ومحبته.

كما أن الخدمة قد تكون بالاتصال الهاتفي أو بالذهاب مع الآخرين لقضاء حوائجهم حتى لو كانت خدمة يسيرة لا قيمة لها فإن أثرها كبير فى قلوب الآخرين.

ويقول الشاعر واصفا بعض الناس وحبهم لخدمة الآخرين وتهللهم لخدمتهم وإعانتهم:

تراه إذا ما جئته متهللا كأنك تعطيه الذي أنت سائله

وأتى رجل صديقا له فدق عليه الباب فقال: ما جاء بك؟ قال: على أربعمائة درهم دين، فوزن أربعمائة درهم وأخرجها إليه، وعاد يبكى فقالت امرأته: لم أعطيته إذ شق عليك؟ فقال: إنما أبكى لأني لم أتفقد حاله حتى احتاج إلى مفاتحتي.

فإذا رأيت الناس بحاجة إليك فاحمد الله أن جعلك أهلا لتلك المسئولية واحمد الله ثانية أن وفقك لقضاء حوائج الناس.

يقول الشاعر:

الناس بالناس ما دام الوفاء بهم والعسر واليسر ساعات وأوقات
وأفضل الناس ما بين الورى رجل تقضى على يده للناس حاجات
لا تمنعن يد المعروف عن أحد ما دمت مقتدرا والعيش جنات
قد مات قوم وما ماتت مكارمهم وعاش قوم وهم في الناس أموات

قال الحسن ﷺ: قضاء حاجة أخ مسلم أحب إلى من اعتكاف شهرين.

ويقول ابن السماك: عجبت لمن يشترى المماليك بماله ولا يشترى الآخرين بمعروفه.

وعلى هذا المعنى مضى الشعر الإسلامي الذى طالما تغنى بقيمة الوقوف إلى جنب المستغيث، يقول الشاعر:

فرضت على زكاة ما ملكت يدي وزكاة جاهي أن أعين وأشفعا
فإذا ملكت فجد وإن لم تستطع فاجهد بوسعك كله أن تنفعا

وقد تلقى التابعى الجليل ابن شبرمة هدية من صاحب كان قد قضى حاجة له:

فسأل المهدى: ولم هذه الهدية؟ فقال: نظير معروف.

فقال ابن شبرمة: خذ هديتك عافاك الله! فإنك إذا سألت أخاك حاجة لم يجهد نفسه فى قضائها فتوضأ للصلاة وكبر عليه أربع تكبيرات وعده فى الموتى.

وروي عن رسول الله ﷺ: «**إن لله عند أقوام نعما أقرها عندهم ما كانوا فى حوائج المسلمين، ما لم يملوهم، فإذا ملوهم نقلها إلى غيرهم**» [رواه الطبراني].

وعن ابن عباس أنه كان معتكفا فى مسجد رسول الله فأتاه رجل فسلم عليه ثم جلس، فقال له ابن عباس: يا فلان أراك مكتئبا حزينا، فقال: نعم يا ابن عم رسول الله، لفلان علىّ حق ولاء، وحرمة صاحب هذا القبر ما أقدر عليه.

قال ابن عباس: أفلا أكلمه فيك؟ قال: إن أحببت، قال: فانتعل ابن عباس ثم خرج من المسجد فقال له الرجل: أنسيت ماكنت فيه؟ قال: لا، ولكنى سمعت صاحب هذا القبر، والعهد به قريب ودمعت عيناه يقول: **من مشى فى حاجة أخيه، وبلغ فيها كان خيرا** له من اعتكاف عشر سنين، ومن اعتكف يوما ابتغاء وجه الله تعالى جعل الله بينه وبين النار ثلاثة خنادق أبعد مما بين الخافقين.

وإن من أبواب الخير العظيمة التى يمكنك بها إدخال عظيم السرور على القلوب، ان يكون لك دين على أخيك، فتمهله حتى يتيسر له قضاؤه، أو تضع عنه بعضه أو تتصدق عليه بجميعه، فإن الكثيرين ينسون هذا الباب من الخير فيفرطوا فى ثواب كبير.

قال الله تعالى: ﴿**وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَة فَنَظِرَة إِلَى مَيْسَرَة وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْر لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾ [البقرة: ٢٨].

وقال رسول الله ﷺ: «**من سره أن يظله الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله فلييسر عن معسر أو ليضع له**» [رواه الطبراني].

وعن أبي بكر الصديق ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أحب أن يسمع الله دعوته ويفرج كربته في الدنيا والآخرة فلينظر معسراً وليدع له، ومن سره أن يظله الله من فور جهنم يوم القيامة ويجعله في ظله فلا يكونن على المؤمنين غليظاً وليكن بهم رحيماً**».

فإن ذلك من أسباب دخول الجنة، فلا يفوتك هذا الخير العظيم؟ قال رسول الله ﷺ: **كان رجل يداين الناس، فكان يقول لفتاه: إذا أتيت معسرا، فتجاوز عنه، لعله يتجاوز عنا فلقى الله فتجاوز عنه؟؟** فى رواية للبخاري: **فأدخله الله الجنة.**

فاعلم أخى الحبيب:

أن هناك من المسرات الحلال يستطيع المسلم أن يحملها لأهله وأبنائه وإخوانه؛ كالكلمة الطيبة والبسمة الودود، والبشرى المفرحة، والمواساة المسلية، وغير ذلك مما يفتح القلوب ويدخل السرور على النفوس، فيفوز بسعادة الدارين، الدنيا والآخرة.

يقول ألبرت أينشتين:

وجد الإنسان من أجل بقية البشر وخاصة من أجل أولئك الذين تعتمد سعادتنا على سعادتهم ويتوقف بقاؤنا على ابتسامتهم.

فلا تجعل يومًا يمضى من أيامك إلا وقد أدخلت السرور فى قلب إنسان واحد على الأقل.

فعليك أخى الحبيب:

إذا أردت أن تفوز بجائزة

من جوائز السماء أن تسعد من حولك

وختاما

أخي الحبيب:

رحمة الله واسعة، وجوائز السماء لاتعد ولاتحصى، وأبواب الخير كثيرة، إذا وجدت أحد الأبواب مغلقا، فقد فتح لك أبوابا، وإذا ضاق بك سبيل وسعتك سبل، فافتح هذه الأبواب، وواصل السير وأنت تردد (بسم الله ولجنا) فافتح هذه الأبواب، حتى تصل، فتفوز بالجائزة الكبرى ففى نهاية هذه الأبواب:

﴿وَعَدَ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة:٧٢].

فمن يفعل الخير لا يعدم جوازيه ... لا يذهب العرف بين الله والناس

فيا راغبا فى ثواب الله الجزيل، ويا محبا أن تكون من أهل جناته وياطامعا فى جوائز السماء لا تنس أن تتمثل قول القائل:

يا من تريد الخير دونك نبعه ... قم روّ قلبك من نمير المنبع

واغسل به درن الحياة وخبثها ... واسلك سبيل المبصر المتتبع

إن الرجوع إلى الصواب فضيلةٌ ... والطيش كل الطيش إن لم ترجع

تجد الحياة تفاوتاً وتجانساً ... كاللسع والعسل الشهي الممتع

يا ليلة القرآن ردينا إلى ... هدي الرسول ووحدينا واجمعي

وخذي بأيدي الصاعدين بهمةٍ ... قعساء لم تجبن ولم تتزعزع

هزي الشباب وجددي إيمانه ... بالنصر رغم الباطل المتجمع

إسلامنا كالطّود يضرب في السما ... صعداً فما جدوى نقيق الضفدع
كالبحر ليس له حدودٌ تنتهي ... أنعافه ونعود للمستنقع
ما كان في الإسلام من رجعيةٍ ... ليقوم ينعته بها غرّ دعي
ما أنزل القرآن كي يتلى على ... قبر تمدد فيه ميت لا يعي
ما أنزل القرآن كيما تقتنى ... منه التمائم في صدور الرضّع
هذي القشور فلا تقيموا حجّةً ... منها على إسلامنا للمدّعي
ما أنزل القرآن إلا منهجاً ... للناس يهدف للنعيم الممرع
تستنبط الأحكام من آياته ... ويكون للتشريع أفضل مرجع
عز الجدود به فكانت نهضةً ... جبارة قامت على أسمى وعي
عرفوا الحقوق فلم يريدوا فوقها ... وتمسكوا بالحق دون توسّع
ورأوا عليهم واجبات فاغتدوا ... صبراً عليها بالعزيمة والسعي
إن الحياة تجارب تسمو بها ... روح الحليم إلى المحل الأرفع
راجع رصيدك من تقاك ولا تكن ... في هذه الدنيا كمثل الرتع
تحيا بلا هدفٍ فتلك خسارةٌ ... معها الندامة في غدٍ لم تنفع
إن التقدم لا يكون بفكرةٍ ... جعلت من الإنسان آلة مصنع

والحياة بمجملها ماهى إلا ميدان سباق، وكل البشر مشاركون فى المسابقة دون استثناء، ولكل طموح وأمل وهمة، ولا بد من فائز وخاسر.

فعليك أخى الحبيب: إذا أردت أن تفوز بجوائز السماء

- أن تبر والديك
- أن تصل رحمك
- أن تصبر على أذى الآخرين
- أن تعفو عمن ظلمك
- أن تكون متواضعا

- أن تقنع بما عندك وترضى بما آتاك
- أن تتصدق على المحتاجين
- أن تسعد من حولك

وما أعظم سروري لو علمت أن قارئاً أو قارئة لهذا الكتاب طبق ما فيه، ففاز بإحدى جوائز السماء، فسطر بيمينه الطاهرة – مشكوراً - رسالة عبر فيها عن رأيه، وصوّر مشاعره بصدق وصراحة، ثم أرسلها عبر البريد الإلكترونى إلى كاتب هذه السطور:

dr_maged_r@hotmail.com

لأكون للطفه شاكراً، وبظهر الغيب له داعياً.

وأدعو الله سبحانه وتعالى أن تورق هذه الكلمات وتزهر فى نفس من يقرأها ثم تؤتى ثمارا طيبة مباركة فى كل حين بإذن ربها.

تم بحمد الله

المراجـــع

- رياض الصالحين - يحيى بن شرف النووى
- إحياء علوم الدين- أبو حامد الغزالى
- المستخلص فى تزكية الأنفس- سعيد حوى
- أدب الدنيا والدين- الماوردى
- المحبة وشروط وحقوق الصحبة- خالد إسماعيل سليمان
- عدة الصابرين- ابن القيم الجوزية
- خلق المسلم- محمد الغزالى
- الإيمان والحياة- د. يوسف القرضاوى.
- خلق المسلم من خلال أحاديث الدعوة- د. محمود محمد عمارة.
- شخصية المسلم- د. محمد على الهاشمى.
- أسعد نفسك وأسعد الآخرين- حسان شمس باشا.
- استمتع بحياتك- د. محمد بن الرحمن العريفى.
- لا تكن شبحا- د. على الحمادى.
- أسرار إطالة العمر- مريم عبد الله الركن.
- اصبر واحتسب- عبد الملك القاسم.
- صلة الرحم- أزهرى أحمد محمود.
- التواضع- أزهرى أحمد محمود.
- الصبر- أزهرى أحمد محمود.
- هل أنت من المتصدقين- أزهرى أحمد محمود.
- بر الوالدين- عبد الرؤوف الحناوى.
- هكذا هم فى القرآن- أحمد صقر السويدى.

كتب للمؤلف

١- مفهوم التغيير الإسلامي.

٢- مقومات الطبيب المسلم.

٣- الشخصية الاجتماعية (سمات وسلوك).

٤- كيف تكون محبوبا؟.

٥- أجراس الخطر.

٦ -ربانيون لا رمضانيون.

٧- أروع الأسرار.

٨- حكايات من ذهب (كيف تعيش وتحب وتنجح وتترك أثرا فى الحياة).

٩- حطم قيودك وعش أجمل ما فى الحياة.

١٠ -كيف تنشر فكرة وتقنع بها الآخرين.

الفهرس

مقدمـــة ٥
الجائزة الكبرى ١١
الجواهر المفقودة ٢٩
اغتنم اللؤلؤة النفيسة ٣٧
قصر فى الجنة ٤٥
سلم إلى السماء ٥٧
صفاء القلوب سكينة النفس ٦٥
كنز لاتصل إليه الأيدي ٧٥
سعادة الدارين الدنيا والآخرة ٨٥
ختاما ٩٥
المراجع ٩٩

***

من سيربح جوائز السماء؟

كيف تكسب قلوب الآخرين؟

د. ماجد رمضان

دار البيان

د. ماجد رمضان
من سيربح جوائز السماء؟
دار البيان للترجمة والتوزيع

by Usama Taha

من إصداراتنا

تكون محبوبا ؟	د. ماجد رمضان
جوائز السماء	د. ماجد رمضان
راس الخطر	د. ماجد رمضان
ن الوقت لتصبح	محمود خليفة
عامل مع المراهقين	ناصر الشافعي
ناع الأجيال	محمد عبد الفتاح
بادة فن و مهارة	ياسر السيد

دار البيان للترجمة والتوزيع
25 ش معمل الألبان - أبو وافية
أمام مركز شباب الساحل
ت: 0176117214 - 02 24324834
البريد الإلكتروني : albayan_2009@yahoo.com